تفسير سورة المؤمنون

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾

[المؤمنون: ١-١١].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَفۡلَحَ - خَٰشِعُونَ - ٱللَّغۡوِ - مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ - غَيۡرُ مَلُومِينَ - ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ - ٱلۡعَادُونَ -رَٰعُونَ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَفۡلَحَ﴾	سعدوا وفازوا بالمطلوب (والذي هو رضا الله ﷻ عليهم ودخول جنته) ونجو من المرهوب، وهو سخط الله ﷻ، والنار عياذاً بالله
﴿خَٰشِعُونَ﴾	متذللون– ساكنون– خائفون وجلةٌ قلوبهم
﴿ٱللَّغۡوِ﴾	ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال الباطل من القول والفعل
﴿مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾	المراد الإماء (اللواتي يأتين بالشراء أو بالسبي وبنحو ذلك)
﴿غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾	غير مذمومين ولا موبخين
﴿ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾	فعل غير ذلك، جامع في غير هذه الأبواب– صرف فرجة في غير هذه الأشياء المذكورة
﴿ٱلۡعَادُونَ﴾	المعتدون المتجاوزون للحد
﴿رَٰعُونَ﴾	محافظون – موقرون– قودون

❁ ❁ ❁

س: هل ورد حديث صحيح في فضل سورة المؤمنون:

ج: لا أعلم حديث صحيحًا في فضل سورة المؤمنون والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س: هل ورد خبر صحيح عن رسول الله ﷺ مفاده أن الجنة خلقها الله بيده فتكلمت قائلة قد أفلح المؤمنون أو أن الله ﷻ نظر إليها لما خلقها بيده، وقال قد أفلح المؤمنون.

ج: كل ذلك لم أقف له على خبر ثابت عن رسول الله ﷺ، وإنما هي بعض الآثار عن بعض التابعين وغالب ظنيٍ أنها مُتلقاة من الإسرائيليات والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س: هل صح لهذه الآيات (قد أفلح المؤمنون سبب نزول)؟

ج: لم أقف لها على سبب نزول صحيح، وإنما ورد م حصله أنها نزلت لما كان النبي ﷺ يرفع بصره إلى السماء في صلاته، فأنزل الله عليه قد أفلح المؤمنون... ولا يصح.

❊ ❊ ❊

س: هل ثبت أن رسول الله ﷺ استقبل القبلة ثم قال «اللهم زدنا ولا تنقصنا... الحديث» ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر.

ج: قد روى الإمام أحمد وغيره هذا الحديث ولا يصح سنده إلى رسول الله ﷺ.

❊ ❊ ❊

س: ما مدى صحة الخبر الذي فيه أن النبي ﷺ قرأ في صلاة الصبح بالمؤمنون حتى بلغ ذِكر موسى وهارون فأخذته سعلة فركع؟

ج: صحيح أخرجه مسلم بنحوه.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، قد فاز المؤمنون بمطلوبهم وأعظم مطلوب لهم هو أن يرضى الله عنهم ويدخلهم جنة وكذا قد نجا المؤمنون من مرهوبهم الذي يرهبونه ويخشونه، وهو سخط الله عليهم وتعذيب الله لهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ قد أدرك الذين صدّقوا الله ورسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم، وأقرّوا بما جاءهم به من عند الله، وعملوا بما دعاهم إليه مما سمى في هذه الآيات، الخلود في جنَّات ربهم وفازوا بطلبتهم لديه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾، أي: قد فازوا وسعدوا، وحصلوا على الفلاح، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لم سئلت عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأت ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ حتى انتهت إلى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ قالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم.(١)

ج: فس سنده من تكلّم فيه.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٣٥٠) وغيره من طريق.

ج: هذا وصف لأهل الإيمان في صلاتهم. فهم فيها متذللون لله ﷻ ساكنون لا يلتفتون (إلا عند الضرورات وبقدرٍ) قد خشعت قلوبهم فانعكس الخشوع على جوارحهم فهم في صلاتهم خائفون ساكنون قد غضوا البصر وخفضوا الجناح.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ يقول تعالى ذكره: الذين هم في صَلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون، وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها.

وقال أيضًا بعد أن أورد جملة من الآثار.

فتأويل الكلام ما وصفت من قبل، من أنه: والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلل لله فيها العبد رُؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أُمر بتركه فيها.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن)

والخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرا لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدبا بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار الردية، وهذا روح الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة مثابا عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها.

مبحث في الخشوع في الصلاة والأسباب المعينة عليه بإذن الله

س: اذكر بعض الأسباب المعينة على الخشوع في الصلاة؟

ج: أولًا: ليعلم أن الخشوع من معاينة الذلّ والانكسار، ومن معاينة الخضوع والتواضع ومن معاينة السكون، سكون الجوارح ومن معاينة الخوف.

ثانيًا: وعن الأسباب المعينة على الخشوع أقول وبالله التوفيق من ذلك ما يلي:

١ - التفكر في الآيات التي تتلى وتدبر معانيها فقد قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩].

فالتفكر في الآيات وحضور القلب كلّ ذلك يولّد خشوعًا، وانكسارًا خوفًا من الله ألا ترى أن الله قال: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

هذ وكلما كان الشخص عالمًا بمعاني الآيات التي يتلوها أو تتلى عليه فإن ذلك من مسببات الخشوع والخشية قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليَّ**» قلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل؟!! قال نعم فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ...﴾ [النساء: ٤١] قال حسبك فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.

ومن أسباب الخشوع، وأفضلها سؤال الله ﷻ ذلك، والتعوذ، بالله من قلب لا يخشع، وقد كان من تعوذات النبي ﷺ، تعوذه من قلب لا يخشع.

ومن أسباب الخشوع في الصلاة إزالة ما يشغل المصلي وإزالة ما يذهب تفكيره فمن ذلك.

إبعاد التصاوير فإن الشغل ينشغل بها عن قراءته وتدبره.

وقد أخرج البخاري من حديث أنس قال كان قرامٌ لعائشة رضي الله عنها سترت به جانب بيتها فقال لها النبي ﷺ: «**أميطي عني فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي**».

وفي رواية لمسلم من طريق القاسم عن عائشة رضي الله عنها أنه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدود إلى سهوة فكان النبي ﷺ يُصلي إليه فقال أخريه عني فإنه لا تزال تصاويره تعرض وعن عائشة رضي الله عنها قال كان النبي ﷺ يصلي في خميصة ذات أعلام فنظر إلى أعلمها فلما قضى صلاته قال «**اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبي جهم ابن حذيفة وأتوني بأنبجانية فإنها ألهتني آنفًا في صلاتي**»، وفي رواية «**شغلتني أعلام هذه**». وفي رواية «كانت له خميصة لها علم فكان يتشاغل بها في الصلاة».

ومن أسباب الخشوع أيضًا انتقاء الحالات....المساعدة على الخشوع ما دام في الوقت سعة، فمن ذلك تأخير النبي ﷺ صلاة الظهر حتى تنكسر حدةُ الحر وذلك بقوله **أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم**».

ومن ذلك قوله ﷺ «**لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان**».

فإن المصلي الجائع والأكل أمامه يفكر في الأكل وينصرف بقلبه إليه، وكذلك الذي يصلي وهو يريد أن يبول أو يتغوط فإنه لا يكاد......والتدبر والا يكاد يقف لله خاشعًا في صلاته ولذلك قال رسول الله ﷺ إذا قرب العشاء وحضرت الصلاة فابدءوا به قبل أن تصلوا صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشائكم».

وفي رواية: «إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء ولا يعجلن حتى يفرغ منه».

ومن ذلك قول النبي ﷺ «إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه».

وفي رواية: «إذا نعس أحدكم في الصلاة فلينم حتى يعلم ما يقول».

وما دون ذلك تعليل الحركة وترك الالتفات قدر الاستطاعة فإن النبي ﷺ قال «إن في الصلاة لشغلا».

وسُئل النبي ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد.

وفي الكلمات التي أمر الله ﷻ بها يحي بن زكريا عليهما السلام أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها. وإن الله بالصلاة فإن صليته فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهة لوجه عبده في صلاته ما لم يتلفت.

هـذا، وقـد قـال تعـالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨] وتقـدم في تفسيرها أنهم بعد نزولها أُمروا بالسكوت.

واحذر الإكثار من التثاؤب خاصة في الصلاة فإن الشيطان يدخل، فإذا دخل شوَّش.

قال ﷺ: «**إذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع فإن الشيطان يدخل**».

ومن ذلك عدم رفع البصر في الصلاة فإن النبي ﷺ قال م بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم وفي راية عنه الدعاء في الصلاة، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «**لينهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم**» ولا تبزق تجاه القبلة ففي الحديث «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه فإنما يناجي الله تبارك وتعالى ما دام في مصلاه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكًا والبيصق عن يساره أو تحت قدمه فيدفنها**».

ملاحظة: وليعلم أن النبي ﷺ يرد عنه تغميض العين في الصلاة بل الوارد عنه يفيد أنه كان يصلي والعين مفتوحة كما حدث في صلاة الكسوف، وكذا عند مرور الشاة أمامه وتقدمه، والأدلة على ذلك كثيرة جدًا.

ومن ذلك أعني من أسباب الخشوع في الصلاة التعوذ بالله من الشيطان عند حضوره ووسوسته.

فعن عثمان بن أبي العاص قال يا رسول الله إن الشيطان قد حل بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ فقال رسول الله ﷺ ذاك الشيطان يُقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالهل منه واتفل عن يسارك ثلاثًا، قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني».

ومن ذلك الطمأنينة في الصلاة قال صلى الله عليه وسلم: «....**ثم اركع حتى تطمئن راكعًا.....ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا.....**».

ومن ذلك عدم الانشغال بتسوية الحصى، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الرجل يسوى التراب حيث يسجد «**إن كنت فاعلًا فواحدة**».

ويتأتى الخشوع أكثر في صلاة النافلة في البيت وفي صلاة الليل، وكل ذلك للبعد عن المشوشات وقال صلى الله عليه وسلم «**أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**».

ومن ذلك الابتعاد عن الصلاة بجوار المتحدثين الذين يشوشون عليك صلاتك بحديثهم وكذا قد ورد النهي عن الصلاة خلف النائم ولذلك.

مبحث في معرض أخر إن شاء الله:

وكذا لا تشوشن على أحدس بقراءتك ولا يشوشن عليك أحد ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كلكم مناج ربَّه فلا يؤذين بعضكم بعضًا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة أو قال في الصلاة وفي رواية «**لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن**».

هذا وثمَّ أسباب أُخر للخشوع في الصلاة اجتزأت منها بما ذكرت وفي الجملة....الشخص أن يتحرى صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلها خشوع وهو خير أسوة وبالله تعالى التوفيق.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾.

ج: المعنى والله أعلم والذين هم عن الباطل ومالا فائدة فيه من الأقوال والأفعال موضونه لا ينشغلون به ولا يقفون عنده.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾ يقول تعالى ذكره: والذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾ أي: عن الباطل، وهو يشمل: الشرك -كما قاله بعضهم- والمعاصي -كما قاله آخرون- وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ۝٧٢﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال قتادة: أتاهم والله من أمر الله ما وقذهم عن ذلك.

❁ ❁ ❁

س: شأن أهل الإيمان الإعراض عن اللغو، اذكر ما يدل على ذلك وبعض الوارد في الحث على قلة الكلام.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿۞لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝١١٤﴾.

[النساء: ١١٤]

وإلى ذلك أرشدنا نبيُّنا عليه الصلاة والسلام:

قال عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم والآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت».

وحثنا نبيُّنا عليه الصلاة والسلام على حفظ ألسنتنا:

فقال عليه الصلاة والسلام: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من صمت نجا**».

وقال ﷺ: «**إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال**».

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالزكاة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المراد زكاة الأموال والزروع والانعام والفطر وغير ذلك من الزكوات المفروضة.

والثاني: زكاة النفوس أي تطهيرها من الشرك والدنس والذنوب والمعاصي.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدون، وفعلهم الذي وصفوا به هو أداؤهما.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ ﴾: الأكثرون على أن المراد بالزكاة هاهنا زكاة الأموال، مع أن هذه الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة. والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النُّصُب والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبًا بمكة، كما قال تعالى في سورة الأنعام، وهي مكية: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هاهنا: زكاة النفس من الشرك والدنس، كقوله: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾ [الشمس: ٩-١٠]، وكقوله: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت: ٦-٧]، على

أحد القولين في تفسيرها.

وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مرادًا، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال؛ فإنه من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا، والله أعلم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان)

في المراد بالزكاة هنا وجهان من التفسير معروفان عند أهل العلم.

أحدهما: أن المراد بها زكاة الأموال ، وعزاه ابن كثير للأكثرين.

الثاني: أن المراد بالزكاة هنا: زكاة النفس أي تطهيرها من الشرك ، والمعاصي بالإيمان بالله ، وطاعته وطاعة رسله عليهم الصلاة والسلام ، وعلى هذا فالمراد بالزكاة كالمراد بها في قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٩-١٠] وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤]. الآية وقوله: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور: ٢١] وقوله: ﴿ خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً ﴾ [الكهف: ٨١] الآية وقوله: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت: ٦-٧] على أحد التفسيرين. وقد يستدل لهذا القول الأخير بثلاث قرائن.

الأولى: أن هذه السورة مكية ، بلا خلاف ، والزكاة إنما فرضت بالمدينة كما هو معلوم. فدل على أن قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ نزل قبل فرض زكاة الأموال المعروفة ، فدل على أن المراد به غيرها.

القرينة الثانية: هي أن المعروف في زكاة الأموال: أن يعبر عن أدائها بالإيتاء كقوله تعالى ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] وقوله ﴿ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ [الأنبياء: ٧٣] ونحو ذلك. وهذه الزكاة المذكورة هنا ، لم يعبر عنها بالإيتاء ، بل قال تعالى

فيها ﴿ والذين هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ فدل على أن هذه الزكاة: أفعال المؤمنين المفلحين، وذلك أولى بفعل الطاعات، وترك المعاصي من أداء مال.

الثالثة: أن زكاة الأموال تكون في القرآن عادة مقرونة بالصلاة، من غير فصل بينهما كقوله: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] وقوله: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٢٧٧] وقوله: ﴿ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ [الأنبياء: ٧٣] وهذه الزكاة المذكورة هنا فصل بين ذكرها، وبين ذكر الصلاة بجملة ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ ﴾ [المؤمنون: ٣].

والذين قالوا المراد بها زكاة الأموال قالوا: إن أصل الزكاة فرض بمكة قبل الهجرة، وأن الزكاة التي فرضت بالمدينة سنة اثنتين هي ذات النصب، والمقادير الخاصة.

❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ ﴾ هل هي عامة في الرجال والنساء؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ ﴾ فهي عامة في الرجال والنساء.

أما قوله: ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ فهي خاصة بالرجال إذ لا يحل للمرأة أن تُمكِّن عبدها من نفسها.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ ﴾ قال ابن العربي: «من غريب القرآن أن هذه الايات العشر عامة في الرجال والنساء، كسائر ألفاظ القرآن التي هي محتملة لهم فإنها عامة فيهم، إلا قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ

حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ فإنما خاطب بها الرجال خاصة دون الزوجات، بدليل قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾. وإنما عرف حفظ المرأة فرجها من أدلة أخرى كآيات الاحصان عموما وخصوصا وغير ذلك من الأدلة».

قلت: وعلى هذا التأويل في الاية فلا يحل لامرأة أن يطأها من تملكه إجماعا من العلماء، لانها غير داخلة في الاية، ولكنها لو أعتقته بعد ملكها له جاز له أن يتزوجها كما يجوز لغيره عند الجمهور.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ يقول: والذين هم لفروج أنفسهم وعنى بالفروج في هذا الموضع: فروج الرجال، وذلك أقبالهم. ﴿حَٰفِظُونَ﴾ يحفظونها من أعمالها في شيء من الفروج. ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ يقول: إلا من أزواجهم اللاتي أحلهنّ الله للرجال بالنكاح. ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ يعني بذلك: إماءهم. و«ما» التي في قوله: ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ محل خفض، عطفا على الأزواج. ﴿فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ يقول: فإن من لم يحفظ فرجه عن زوجه، وملك يمينه، وحفظه عن غيره من الخلق، فإنه غير مُوَبَّخٍ على ذلك، ولا مذمومٍ، ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ حافظون لها من ماذا؟

ج: حافظون لها من الزنا واللواط والسحاق، وكذا من الاستمناء على الصحيح، وحافظون لها من نظر الآخرين إليها أيضًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولــــه: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ أي: والـذين قـد حفظوا فروجهم من الحرام، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا أو لواط، ولا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم، وما ملكت أيمانهم من السراري، ومن تعاطى ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج؛ ولهذا قال: ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: غير الأزواج والإماء، ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ أي: المعتدون.

❊ ❊ ❊

حكم الاستمناء

س: ما حكم الاستمناء، ووضح معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ..﴾.

ج: الظاهر لي والله أعلم تحريمه لأن الله ﷻ ذكر من رُفع عنه اللوم إذ قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ ﴾. ثم عقب ذلك بقوله جل ذكره: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ والاستمناء مما وراء ذلك.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد استدل الإمام الشافعي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ قال: فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين، وقد قال: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ وقد استأنسوا بحديث رواه الإمام الحسن بن عَرَفَةَ في جزئه المشهور حيث قال: حدثني علي بن ثابت الجَزَرِيّ، عن مسلمة بن جعفر، عن حسان بن حميد، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة

لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا يجمعهم مع العاملين، ويدخلهم النار أول الداخلين، إلا أن يتوبوا، فمن تاب تاب الله عليه: ناكح يده ، والفاعل، والمفعول به، ومدمن الخمر، والضارب والديه حتى يستغيثا، والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه، والناكح حليلة جاره». هذا حديث غريب، وإسناده فيه من لا يعرف؛ لجهالته، والله أعلم.

قلت (مصطفى): والأمر كما ذكر الحفاظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، فالحديث ضعيف جدًا، وتكفي الآية بعمومها للاستدلال على منع الاستمناء والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ يقول: فمن التمس لفرجه مَنكَحًا سوى زوجته، وملك يمينه، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ ﴾ يقول: فهم العادون حدود الله، المجاوزون ما أحل الله لهم إلى ما حَرّم عليهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهى معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس حتى صارت قيلة، ويا ليتها لم تقل، ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها. فإن قيل: إنها خير من نكاح الامة، قلنا: نكاح الامة ولو كانت كافرة على مذهب بعض العلماء خير من هذا، وإن كان قد قال به قائل أيضا، ولكن الاستمناء ضعيف في الدليل، عار بالرجل الدنئ فكيف بالرجل الكبير.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم، والذين هم لأماناتهم التي استؤمنوا عليها، ويدخل في ذلك الأمانات التي يودعها الناس عندهم، وكل الأمانات التي استؤمنوا

عليها كالأسرار التي يُستأمنون عليها، وكذا العهود التي عاهدوا عليها الكفار لا يتعدونها ولا ينتقضونها ولا يغدرون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ التي ائتمنوا عليها ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ وهو عقودهم التي عاقدوا الناس ﴿رَٰعُونَ ۝٨﴾ يقول: حافظون لا يضيعون، ولكنهم يوفون بذلك كله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ أي: إذا اؤتمنوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك، لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾.

ج: المعنى والله أعلم والذين هم على صلاتهم يحافظون بتأديتها في وقتها وبأركانها وواجباتها لا يتركونها حتى يخرج وقتها، ولا يُخَلُّون بواجباتها وفرائضها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ يقول: والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون، فلا يضيعونها ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم، ولكنهم يراعونها حتى يؤدوها فيها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولــه: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ أي: يواظبــون عليهــا في مواقيتها، كما قال ابن مسعود: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، أيّ العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**». قلت: ثم أيّ؟ قال: «**بِرُّ الوالدين**». قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة، واختتمها بالصلاة، فدل على أفضليتها، كما قال رسول الله ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أولئك الذين تقدمت أوصافهم هم الذين يرثون أماكن الكفار في الجنان فما من شخص إلا له مقعدان مقعد في الجنة ومقعد في النار فإذا دخل المؤمن الجنة ودخل الكافر النار، ورث المؤمن مكان الكافر في الجنة، وورث الكافر مكان المؤمن في النار.

أما الفردوس فهي أعلى الجنة فأفضلها كما في الحديث عن رسول الله ﷺ وسيأتي إن شاء الله.

أما قوله: ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ أي ماكثون فيها إلا ما لا نهاية لا يبغون عنها حولًا.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا، هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار في الجنة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا وَلَهُ مَنزلانِ: مَنزل فِي الجَنَّةِ، ومَنزلٌ فِي النَّارِ، وَإِنْ ماتَ وَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنزلَهُ**» فذلك قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ﴾ البستان ذا الكَرْم، وهو ﴿ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ عند العرب. وكان مجاهد يقول: هو بالرومية.

وقوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ يعني ماكثون فيها، يقول: هؤلاء الذين يرثون الردوس خالدون، يعني ماكثون فيها أبدًا، لا يتحولون عنها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولَما وَصَفَهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة والأفعال الرشيدة قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن**».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالمؤمنون يرثون منازل الكفار؛ لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة، وتَرَكَ أولئك ما أمرُوا به مما خُلقوا له -أحرزَ هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل، بل أبلغ من هذا أيضًا، وهو ما ثبت في صحيح مسلم، عن أبي بُردَةَ، عن أبيه، عن النبي

ﷺ قال: «**يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم، ويضَعُها على اليهود والنصارى**».

وفي لفظ له: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة دَفَعَ الله لكل مسلم يهوديًّا أو نصرانيًّا، فيقال: هذا فَكَاكُكَ من النار**». فاستحلف عُمر بن عبد العزيز أبا بُردَةَ بالله الذي لا إله إلا هو، ثلاث مرات، أن أباه حَدَّثه عن رسول الله ﷺ، قال: فحلف له. قلت: وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣]، وكقوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٧٢]. وقد قال مجاهد، وسعيد بن جُبَيْر: الجنة بالرومية هي الفردوس.

وقال بعض السلف: لا يسمى البستان فردوسًا إلا إذا كان فيه عنب، فالله أعلم.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

[المؤمنون: ١٢-١٦].

س: وضح معنين ما يلي:

﴿سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ – نُطۡفَةٗ – قَرَارٖ مَّكِينٖ – عَلَقَةٗ – مُضۡغَةٗ – خَلۡقًا ءَاخَرَۚ – فَتَبَارَكَ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾	طين مستل من جميع الأرض أستللناه (استخرجناه) من طين وقيل نيٌّ استل من ظهر آدم، وقيل عن آدم طين لأنه خرج منه وقيل عنه مكين لقوله هيئ لذلك ومُكِّن فيه، ابن آدم بإذن ربه ﷻ
﴿نُطۡفَةٗ﴾	قطرة المني
﴿قَرَارٖ مَّكِينٖ﴾	مكان يستقر فيه أعدّ لذلك وقيل: عن مكين لقوله هيء لذلك ومُكِّن فيه ابن آدم بإذن ربه ﷻ
﴿عَلَقَةٗ﴾	دم متجمع
﴿مُضۡغَةٗ﴾	قطعة لحم
﴿خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾	بعد نفخ لروح فيه تحول إلى خلقه أخر وهو الجنين في بطن الأمن وقيل غير ذلك
﴿فَتَبَارَكَ﴾	كثر الخير الوارد منه– وتعاظم وتنامى

❁ ❁ ❁

الأطوار التي يمر بها الإنسان

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾؟

ج: ابتداءًا فلأهل العلم قولان في المراد بالإنسان:

أحدهما: أنه آدم صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أنهم عموم أبنائه.

وبناء على ذلك يتأتى التفسير.

فالذين قالوا إن الإنسان هو آدم عليه السلام قالوا السلالة من طين هي تربة الأرض بصفة عامة التي استل منها الطين الذي خلق منه آدم عليه فقد خلق آدم عليه السلام من قبضة من التراب قبضها الله عز وجل من جميع الأرض.

وأخرج الإمام أحمد وغيره من حديث:

عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قَدْرِ الأرض، جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض، وبين ذلك، والخبيث والطيب، وبين ذلك».

فعلى ذلك فالسلالة هي الشيء المستل أي المستخرج من طين.

والذين قالوا إن الإنسان المراد به بنوا آدم قالوا إن السلالة هي المنيُّ المستل (المستخرج) من صلب آدم عليه السلام، ولما كان آدم عليه السلام قد خلق من طين، قيل سلالة من طين.

وهذا بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ أسللناه منه، فالسلالة: هي المستلة من كلّ تربة، ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من

أديم الأرض.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعني بالإنسان في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى به آدم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولقد خلقنا ولد آدم، وهو الإنسان الذي ذكر في هذا الموضع، من سلالة، وهي النطفة التي استلَّت من ظهر الفحل من طين، وهو آدم الذي خُلق من طين.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سُلالة آدم، وهي صفة مائه، وآدم هو الطين؛ لأنه خُلق منه.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية؛ لدلالة قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ١٣﴾ على أن ذلك كذلك؛ لأنه معلوم أنه لم يصر في قرار مكين إلا بعد خلقه في صلب الفحل، ومن بعد تحوّله من صلبه صار في قرار مكين؛ والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته: سليله وسلالته. لأنهما مسلولان منه، ومن السُّلالة قول بعضهم:

حَمَلتْ بِهِ عَضْبَ الأدِيمِ غَضَنفرًا ... سُلالَةَ فَرجٍ كانَ غيرَ حَصِينِ

وقول الآخر:

وَهَلْ كُنْتُ إلا مُهْرَةً عَرَبِيَّةً ... سُلالَةَ أفْراسٍ تَجَلَّلها بَغْلُ

فمن قال: سلالة جمعها سلالات، وربما جمعوها سلائل، وليس بالكثير. لأن السلائل جمع للسليل، ومنه قول بعضهم:

إذا أُنْتِجَتْ مِنْها المَهارَى تَشابَهَتْ ... عَلى القَوْدِ إلا بالأنُوفِ سَلائلُهْ

وقول الراجز:

يَقْذِفْنَ فِي أسْلابِها بالسَّلائِلِ

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين، وهو آدم، عَلَيْهِ السَّلَامُ، خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون. وقال الأعمش، عن المِنْهال بن عمرو، عن أبي يحيى، عن ابن عباس: ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ١٢﴾ قال: صَفوةُ الماء. وقال مجاهد: ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ أي: من منيّ آدم. قال ابن جرير: وإنما سمي آدم طينًا لأنه مخلوق منه. وقال قتادة: استُلّ آدمُ من الطين. وهذا أظهر في المعنى، وأقرب إلى السياق، فإن آدم، عَلَيْهِ السَّلَامُ، خلق من طين لازب، وهو الصلصال من الحمأ المسنون، وذلك مخلوق من التراب، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ٢٠﴾ [الروم: ٢٠].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ١٤﴾.

ج: المعنى والله أعلم ثم جعلنا ابن آدم بعد أن استخرجناه من صلب أبيه نطفة، وهي قطرة المني، فجعلناها، وبعد جماع الزوج لزوجته وإخراج المني في الرحم نطفة تستقر مكان هي لها وأعدَّ لها ومُكنت فيه وهو رحم المرأة، ثم خلقنا هذه النطفة علقة، حولناها إلى دم متجمع ثم تحول هذا الدم إلى قطعة لحم، وهي المضغة ثم خلقنا هذه المضغة قطعة اللحم عظامًا، حولناها إلى عظام مكسوةٍ باللحم ثم نفخنا فيه الروح، فبعد أن كان شكلًا بلا روح نفخنا فيه الروح فتحوَّل إلى جنين يتحرك فتكاثر الخير الوارد من الله عَزَّوَجَلَّ وتعاظم وتنامى وتزايد، فإنه عَزَّوَجَلَّ أحسن الخالقين.

هذا، وقد قا ل بعض أهل العلم إن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ أنه تغلب الإنسان في الدنيا بعد مولده فيكون طفلًا ثم يقوى ويشب ثم يكون شيخًا كما قال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] هذا وقوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ لا يفيد أن هناك خالق غير الله، إلا إذا وجه الخلق بمعنى الصنع، ومن العلى من قال إن عيسى عليه السلام كان يخلق من الطين كهيئة الطير لكن خلق الله أحسن من خلق عيسى عليه السلام، وهذا القول متعقب بأن عيسى عليه السلام كان يخلق بإذن الله ثم هذه بعض أقوال أهل العلم فيما ذُكر عمومًا.

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣﴾ ثم جعلنا الإنسان الذي جعلناه من سلالة من طين نطفة في قرار مكين، وهو حيث استقرّت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة، ووصفه بأنه مكين؛ لأنه مكن لذلك، وهيأ له ليستقرّ فيه إلى بلوغ أمره الذي جعله له قرارا. وقوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ يقول: ثم صيرنا النطفة التي جعلناها في قرار مكين علقة، وهي القطعة من الدم، ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ يقول: فجعلنا ذلك الدم مضغة، وهي القطعة من اللحم.

وقوله: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ يقول: فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما. وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق سوى عاصم: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ على الجمع، وكان عاصم وعبد الله يقرآن ذلك: ﴿عَظْما﴾ في الحرفين على التوحيد جميعا.

والقراءة التي نختار في ذلك الجمع؛ لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ يقول: فألبسنا العظام لحما. وقد ذكر أن

ذلك في قراءة عبد الله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عَظْما﴾ وعصبا، فكسوناه لحما.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ يقول: ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقا آخر. وهذه الهاء التي في: ﴿أَنْشَأْنَاهُ﴾ عائدة على الإنسان في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ قد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة، جعل ذلك كله كالشيء الواحد. فقيل: ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ فقال بعضهم: إنشاؤه إياه خلقا آخر: نفخه الروح فيه؛ فيصير حينئذ إنسانا، وكان قبل ذلك صورة.

وقال آخرون: إنشاؤه خلقا آخر، تصريفه إياه في الأحوال بعد الولادة في الطفولة والكهولة، والاغتذاء، ونبات الشعر والسنّ، ونحو ذلك من أحوال الأحياء في الدنيا.

وقال آخرون: بل عني بإنشائه خلقًا آخر: سوَى شبابه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك نفخ الروح فيه، وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقا آخر إنسانا، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها، من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه، يتحوّل عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية، كما تحوّل أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنسانا، وخلقا آخر غير الطين الذي خلق منه.

وقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه فتبارك الله أحسن الصانعين.

وقال آخرون: إنما قيل: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ لأن عيسى ابن

مريم كان يخلق، فأخبر جل ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد؛ لأن العرب تسمي كل صانع خالقا، ومنه قول زهير:

وَلأَنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ القَوْمِ يخْلُقُ ثمَّ لا يَفْرِي

ويروى:

وَلأَنْتَ تَخْلُق ما فريت وَبَعْـ ـضُ القَوْمِ يخْلُقُ ثمَّ لا يَفْرِي

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾: هذا الضمير عائد على جنس الإنسان، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة: ٧، ٨] أي: ضعيف، كما قال: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾، يعني: الرحمُ مُعَد لذلك مهيأ له، ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٢٢، ٢٣]، أي: [إلى] مدة معلومة وأجل معين حتى استحكم وتنَقّل من حال إلى حال، وصفة إلى صفة؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ أي: ثم صَيَّرنا النطفة، وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل -وهو ظهره- وترائب المرأة -وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلى الثندوة- فصارت علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة. قال عكرمة: وهي دم.

﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾: وهي قطعة كالبَضعة من اللحم، لا شكل فيها ولا تخطيط، ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا ﴾ يعني: شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها.

وقرأ آخرون: ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾.

قال ابن عباس: وهو عظم الصلب.

وفي الصحيح، من حديث أبي الزِّنَاد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال

رسول الله ﷺ: «كل جسد ابن آدم يبلى إلا عَجْبُ الذَّنَب، منه خلق ومنه يركب».

﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ أي: وجعلنا على ذلك ما يستره ويشده ويقويه، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ أي: ثم نفخنا فيه الروح، فتحرك وصار ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى القولين المذكورين في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾. ثم قال: ولا منافاة فإنه من ابتداء نفخ الروح شرع في هذه التنقلات والأحوال والله أعلم.

ثم أورد الحافظ ابن كثير عدة أحاديث منها حديثا ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم ليُجمع خَلقُه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وهل هو شقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها».

وحديث حذيفة بن أسيد -يبلغ به النبي ﷺ -قال: «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين، فيقول: أي رب، أشقي أم سعيد؟ فيقول الله، ويكتبان، فيقول: أذكر أم أنثى؟ فيقول الله ويكتبان، ويكتب عمله وأثره ورزقه وأجله، ثم تطوى الصحف، فلا يزاد على ما فيها ولا ينتقص».

وفي رواية: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكا فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها، ثم يقول، يا رب، أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول: يا رب أجله، فيقول ربك ما

شاء، ويكتب الملك، ثم يقول يا رب رزقه، ليقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص».

وفي رواية: «إن الله وكّل بالرحم مَلكًا فيقول: أي رب، نطفة. أيْ رب، علقة أي رب، مضغة. فإذا أراد الله خلقها قال: يا رب، ذكر أو أنثى؟ شقي أو سعيد؟ فما الرزق والأجل؟» قال: «فذلك يكتب في بطن أمه».

وأورد غير ذلك ثم قال ابن كثير:

وقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ يعني: حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال، وشكل إلى شكل، حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السَّوِيّ الكامل الخلق، قال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم ثم إنكم يا بني آدم بعد هذه النشأة التي ذكرناها لميتون عند انقضاء آجالكم، ثم إنكم من بعد موتكم لمبعوثون يوم القيامة للحساب وللثواب والعقاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ثم إنكم أيها الناس من بعد إنشائكم خلقا آخر وتصييرناكم إنسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم، ثم إنكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا، مبعوثون من التراب خلقا جديدا، كما بدأناكم أوّل مرّة. وإنما قيل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾؛ لأنه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن. وكذلك تقول العرب لمن لم يمت: هو مائت وميت عن قليل، ولا

يقولون لمن قد مات مائت، وكذلك هو طمع فيما عندك إذا وصف بالطمع، فإذا أخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل: هو طامع فيما عندك غدا، وكذلك ذلك في كلّ ما كان نظيرا لما ذكرناه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ أي بعد الخلق والحياة. والنحاس: ويقال في هذا المعنى لمائتون. ثم أخبر بالبعث بعد الموت فقال: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ يعني: بعد هذه النشأة الأولى من العدم تصيرون إلى الموت ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ يعني: النشأة الآخرة ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠] يعني: يوم المعاد، وقيام الأرواح والأجساد، فيحاسب الخلائق ويوفي كل عامل عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

[الأنبياء: ١٦-٢٢].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿سَبۡعَ طَرَآئِقَ - بِقَدَرٖ - فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ - عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ - جَنَّٰتٖ - طُورِ سَيۡنَآءَ - تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ - وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ - لَعِبۡرَةٗۖ - ٱلۡفُلۡكِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿سَبۡعَ طَرَآئِقَ﴾	سبع سموات، وقيل عن السموات طرائق لكون بعضها فوق بعض
﴿بِقَدَرٖ﴾	على قدر الحاجة
﴿فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾	فجعلناه مستوًا في الأرض تنتفعون به
﴿عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ﴾	على إذهابه وعدم الاحتفاظ به
﴿جَنَّٰتٖ﴾	حدائق وبساتين
﴿طُورِ سَيۡنَآءَ﴾	الطور جبل عليه نبات، وسيناء هي سيناء المعروفة، المراد- عند كثير به من العلماء الجبل الذي كلَّم الله ﷻ عنده نبيه موسى ﷺ
﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾	تخرج الدهن، وهو الزيت
﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾	إدام يؤتدم به، الشيء الذي يوضع على الخبز كي يؤكل الخبز معه
﴿لَعِبۡرَةٗۖ﴾	لعظة ودلالة
﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾	السفن العظيمة

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ ولماذا أطلق على السموات طرائق؟

ج: المعنى والله أعلم ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات شدادًا كما قال تعالى: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ ﴾ [النبأ: ١٢] ولم نفعل لمن تدبر أمر سائر الخلائق ولم نفعل عن عن تدبير أمر سائر الخلائق، ولم نفعل عن حفظًا الخلائق أيضًا فقد أمسكنا السموات كي لا تسقط عليكم كما قال جل ذِكره ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٦٥].

هذا وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ يحتمل ما يلي: إننا خلقنا هذه السموات السبع العظيمة في شأنها البديعة في خلقها، ومع خلقناها لم نفعل عن تدبير أمر سائر الخلائق فلم نفعل عن تدبير أمر النملة في جحرها، أو الحيتان في البحار أو الوحوش في الغابات، لم نفعل عن تدبير أمر النحل والذباب والطيور، لم نفعل عن بني آدم وعن تدبير أمورهم ومعايشهم، لم نفعل عن سائر الخلق، ولم ننشغل بخلق السموات السبع عن سائر مخلوقاتنا، فالله لا يشغله جليل عن حقير ولا كبير عن صغير، بل أحصى كل شيء وحفظ كل شيء.

فإذا كان ذلك كذلك فلا يُقَصِّر الشخص عن الدعاء فليسأل ربَّه عَزَّوَجَلَّ القليل كما يسأله الكبير الكثير، وليسأل الله كل ما يريد، فلا يظن أن الله عَزَّوَجَلَّ منشغلٌ عنه بما هو أهم، فالله يكفي العباد ويسمع ويرى ويجيب ويعطي ويمنع ويتفضل أما لماذا أطلق على السموات طرائق، ملكوت بعضها فوق بعض لذا أطلق عليها طرائق كذا قال أكثر العلماء والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات، بعضهن فوق بعض، والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة. وإنما قيل للسموات السبع سبع طرائق؛ لأن بعضهنّ فوق بعض، فكلّ سماء منهنّ طريقة.

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ يقول: وما كنا في خلقنا السموات السبع فوقكم، عن خلقنا الذي تحتها غافلين، بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى خَلْق الإنسان، عطف بذكر خلق السموات السبع، وكثيرًا ما يذكر تعالى خلق السموات والأرض مع خلق الإنسان، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]. وهكذا في أول ﴿الٓمٓ﴾ السجدة، التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها [في] صبيحة يوم الجمعة، في أولها خَلْقُ السموات والأرض، ثم بيان خلق الإنسان من سلالة من طين، وفيها أمر المعاد والجزاء، وغير ذلك من المقاصد.

فقوله: ﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾: قال مجاهد: يعني السموات السبع، وهذه كقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ [نوح: ١٥]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وهكذا قال هاهنا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ أي: ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرُج فيها، وهو معكم أينما كنتم، والله بما تعملون بصير. وهو -سبحانه- لا

يَحجبُ عنه سماء سماء، ولا أرض أرضًا، ولا جبل إلا يعلم ما في وَعْره، ولا بحر إلا يعلم ما في قَعْره، يعلم عدد ما في الجبال والتلال والرمال، والبحار والقفار والأشجار، ﴿ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٥٩ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ ﴾ قال أبو عبيدة: أي سبع سموات. وحكي عنه أنه يقال: طارقت الشيء، أي جعلت بعضه فوق بعض، فقيل للسموات طرائق لأن بعضها فوق بعض. والعرب تسمى كل شيء فوق شيء طريقة. وقيل: لأنها طرائق الملائكة. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ۝١٧ ﴾ قال بعض العلماء: أي عن خلق السماء. وقال أكثر المفسرين: أي عن الخلق كلهم من أن تسقط عليهم فتهلكهم.

قلت: ويحتمل أن يكون المعنى ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ۝١٧ ﴾ أي في القيام بمصالحهم وحفظهم ، وهو معنى الحى القيوم، على ما تقدم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۢ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ۝١٨ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝١٩ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ۝٢٠ ﴾.

ج: يُذكِّر الله ﷻ ببعض نعمه على خلقه فيقول وأنزلنا من السماء ماء وهو (المطر، والغيث) بقدر على قدر حاجاتكم، لا كثير فيهلككم ولا قليل فتموتون جوعًا وعطشًا، وإنما على قدر حاجاتكم فأسكناه في الأرض، جعلناه ساكنا مستقرًا أمامكم تستفيدون منه، وإنا على إذهابه لقاع الأرض لقادرون

وعلى إذهابه للبحار لقادرين، وعلى عدم إنزاله القادرون وعلى خلط الماء المالح به فيفسد عليكم الماء العذب القادرون على كل ذلك لقادرون.

أما قوله تعالى: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ أي أنبتنا لكم به من الزروع والثمار والحدائق والنباتات ما ترون ومن ذلك ﴿جَنَّٰتٍ﴾ حدائق وبساتين من نخيل وأعناب لكم فيها (في الجنات) فواكه كثيرة من كل صنف ومن هذه الفواكه وثمار النخيل والأعناب تأكلون وكذا أنبتناكم بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء شجرة، وهي شجرة الزيتون تخرج من جبل الطور وعند جبل الطور، وقد قيل إن الطور كل جبل عليه نبات، وقيل إنه جبل مخصوص، وهو الذي كلَّم الله ﷻ عنده نبيه موسى ﷺ أما سيناء فالأصح أنها المكان المعروف (سيناء المعروفة بمصر، وقيل إنها تمتد إلى الشام) فالمراد أن شجرة الزيتون أصلها من الله ﷻ كانت عند هذا الجبل جبل الطور بسيناء وقال لبعضهم إن المراد بسيناء مباركٌ وحسنٌ واستبعد هذا بعض العلماء، لأنها لو كانت كذلك لكانت طور منونةً، أي طورٍ حسنٍ ولكن لما كانت طور مجرورة فقط عُلم أن سيناء اسم لمكان والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ أي تنبت هذه الشجرة شجرة الزيتون الدهن الذي يؤتدم به أي يوضع مع الخبز فيؤكل معه، فقيل الزيت الزيتون صبغ لآكلين، أي إدام يأتدم به الأكلون يضعون مع الخبز فيغير لونه ويغير طعمه ولذلك قيل عنه صبغ، فيؤكل مع الخبز، والله أعلم.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأنزلنا من السماء ما في الأرض من ماء فأسكناه فيها.

وقوله: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يقول جل ثناؤه: وإنا على الماء الذي أسكناه في الأرض لقادرون أن نذهب به ، فتهلكوا أيها الناس عطشا ، وتخرب أرضوكم، فلا تنبت زرعا ولا غرسا، وتهلك مواشيكم، يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جاريا.

يقول تعالى ذكره: فأحدثنا لكم بالماء الذي أنزلناه من السماء بساتين من نخيل وأعناب ﴿لَّكُمْ فِيهَا﴾ يقول: لكم في الجنات ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ يقول: ومن الفواكه تأكلون، وقد يجوز أن تكون الهاء والألف من ذكر الجنات، ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والأعناب. وخصّ جل ثناؤه الجنات التي ذكرها في هذا الموضع، فوصفها بأنها من نخيل وأعناب ، دون وصفها بسائر ثمار الأرض؛ لأن هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها، فكانت النخيل لأهل المدينة، والأعناب لأهل الطائف، فذكَّر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم، بما أنعم به عليهم من ثمارها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء وشجرة منصوبة عطفا على الجنات ويعني بها: شجرة الزيتون.

وقوله: ﴿ تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ يقول: تخرج من جبل ينبت الأشجار.

وأما قوله: ﴿ سَيْنَآءَ ﴾ فإن القرّاء اختلفت في قراءته، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: ﴿سِيناء﴾ بكسر السين. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: ﴿سَيْنَآءَ ﴾ بفتح السين، وهما جميعا مجمعون على مدّها.

والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار،

بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

واختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: المبارك، كأن معنى الكلام عنده: وشجرة تخرج من جبل مبارك.

قال آخرون: معناه حسن.

وقال آخرون: هو اسم جبل معروف.

وقال آخرون: إنه جبل ذو شجر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سيناء اسم أضيف إليه الطور يعرف به، كما قيل: جبلا طيئ، فأضيفا إلى طيئ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مبارك، أو كما قال من قال: معناه حسن، لكان الطور منوّنا، وكان قوله سيناء من نعته، على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن، غير معروف في كلام العرب ، فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس، من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء: معنى مبارك.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿ تَنۢبُتُ ﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿ تَنْبُتُ ﴾ بفتح التاء، بمعنى: تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن، وقرأه بعض قرّاء البصرة: ﴿ تُنْبِتُ ﴾ بضم التاء، بمعنى تنبت الدهن، تخرجه. وذكر أنها في قراءة عبد الله: ﴿ تُخْرِجُ الدُّهْنَ ﴾ وقالوا: الباء في هذا الموضع زائدة كما قيل: أخذت ثوبه ، وأخذت بثوبه، وكما قال الراجز:

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أرْبَابُ الفَلَجْ ... نَضْرِبُ بِالبيضِ وَنَرْجُو بالفَرَجْ

بمعنى: ونرجو الفرج. والقول عندي في ذلك أنهما لغتان: نبت، وأنبت؛ ومن أنبت قول زهير:

رأيْتَ ذوي الحاجاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ   قَطِيناً لَهُمْ حتى إذا أنْبَتَ البَقْلُ

ويروى: نبت، وهو كقوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [هود: ٨١] و«فاسر»، غير أن ذلك وإن كان كذلك، فإن القراءة التي لا أختار غيرها في ذلك قراءة من قرأ: ﴿تَنْبُتُ﴾ بفتح التاء؛ لإجماع الحجة من القرّاء عليها. ومعنى ذلك: تَنْبُتُ هذه الشجرة بثمر الدهن.

وقوله: ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ يقول: تنبت بالدهن وبصبغ للآكلين، يصطبغ بالزيت الذين يأكلونه.

قال ابن زيد في قوله: ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ قال: هذا الزيتون صبغ للآكلين، يأتدمون به، ويصطبغون به.

قال أبو جعفر: فالصبغ عطف على الدهن.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى نعمه على عبيده التي لا تعدّ ولا تحصى، في إنزاله القَطْر من السماء ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي: بحسب الحاجة، لا كثيرًا فيفسد الأرض والعمران، ولا قليلا فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به، حتى إن الأراضي التي تحتاج ماء كثيرًا لزرعها ولا تحتمل دِمْنتها إنزال المطر عليها، يسوق إليها الماء من بلاد أخرى، كما في أرض مصر، ويقال لها: «الأرض الجرُز»، يسوق الله إليها ماء النيل معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها، فيأتي الماء يحمل طينًا أحمر، فيسقي أرض مصر، ويقر الطين على أرضهم ليزدرعوا فيه، لأن أرضهم سباخ يغلب عليها

الرمال، فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور.

وقوله: ﴿ فَأَسْكَنَّهُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض، وجعلنا في الأرض قابليَّة له، تشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى.

وقوله: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ أي: لو شئنا ألا تمطر لفعلنا، ولو شئنا لصرفناه عنكم إلى السباخ والبراري [والبحار] والقفار لفعلنا، ولو شئنا لجعلناه أجاجًا لا ينتفع به لشُرب ولا لسقي لفعلنا، ولو شئنا لجعلناه لا ينزل في الأرض، بل ينجَرّ على وجهها لفعلنا. ولو شئنا لجعلناه إذا نزل فيها يغور إلى مَدَى لا تصلون إليه ولا تنتفعون به لفعلنا. ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذبًا فراتًا زلالا فيسكنه في الأرض ويَسْلُكُه ينابيع في الأرض، فيفتح العيون والأنهار، فيسقي به الزروع والثمار، وتشربون منه ودوابكم وأنعامكم، وتغتسلون منه وتتطهرون وتتنظفون، فله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ﴾ يعني: فأخرجنا لكم بما أنزلنا من الماء ﴿ جَنَّٰتٍ ﴾ أي: بساتين وحدائق ذات بهجة، أي: ذات منظر حسن.

وقوله: ﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ﴾ أي: فيها نخيل وأعناب. وهذا ما كان يألف أهل الحجاز، ولا فرق بين الشيء وبين نظيره، وكذلك في حق كل أهل إقليم، عندهم من الثمار من نعمة الله عليهم ما يَعْجِزُون عن القيام بشكره.

وقوله: ﴿ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ ﴾ أي: من جميع الثمار، كما قال: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [النحل: ١١].

وقوله: ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ كأنه معطوف على شيء مقدر، تقديره: تنظرون إلى حسنه ونضجه، ومنه تأكلون.

وقوله: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ يعني: الزيتونة. والطور: هو الجبل. وقال بعضهم: إنما يسمى طورا إذا كان فيه شجر، فإن عَرى عنها سمي جَبَلا لا طورًا، والله أعلم. وطور سيناء: هو طور سينين، وهو الجبل الذي كَلَّم [الله] عليه موسى بن عمران، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون.

وقوله: ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ ﴾: قال بعضهم: الباء زائدة، وتقديره: تنبت الدهن، كما في قول العرب: ألقى فلان بيده، أي: يده. وأما على قول من يُضَمِّن الفعل فتقديره: تخرج بالدهن، أو تأتي بالدهن؛ ولهذا قال: ﴿ وَصِبۡغٖ ﴾ أي: أدْم، قاله قتادة. ﴿ لِّلۡأٓكِلِينَ ٢٠ ﴾ أي: فيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ.

وأورد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كلوا الزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة**» وأسانيده ضعيفة، والآية تشهد لمعناه، والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿بِقَدَرٖ﴾ أي على مقدار مصلح، لأنه لو كثر أهلك؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ [الحجر: ٢١]. ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ يعني الماء المختزن. وهذا تهديد ووعيد؛ أي في قدرتنا إذهابه وتغويره، ويهلك الناس بالعطش وتهلك مواشيهم؛ وهذا كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا ﴾ أي غائرا ﴿فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ٣٠ ﴾ [الملك: ٣٠].

وقال أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ فَأَنشَأۡنَا ﴾ أي جعلنا ذلك سبب النبات، وأوجدناه به وخلقناه. وذكر تعالى النخيل والأعناب لأنها ثمرة الحجاز بالطائف والمدينة وغيرهما؛ قاله الطبري. ولأنها أيضا أشرف الثمار، فذكرها تشريفا لها وتنبيها عليها. ﴿لَّكُمۡ فِيهَا﴾ أي في الجنات. ﴿فَوَٰكِهُ ﴾ من غير الرطب والعنب. ويحتمل

مصاحفهم وبه نقرأ، لإجماع من القراء عليه، ووفاقه خط مصاحف المسلمين.

وأورد الطبري حديث عائشة أنها قالت: يا رسول الله «الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة» أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: «**لا يا ابنة أبي بكر -أو يا ابنة الصديق- ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه**».

وقال الطبري:

وقوله﴿W W d W e W f W﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم، يبادرون في الأعمال الصالحة، ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله:﴿c W d W e W f W﴾.

قال: والخيرات: المخافة والوجل والإيمان، والكفّ عن الشرك بالله، فذلك المسابقة إلى هذه الخيرات،

قوله:﴿g W h W i W j﴾ كان بعضهم يقول: معناه سبقت لهم من الله السعادة، فذلك سبوقهم الخيرات التي يعملونها.

وكان بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى: وهم إليها سابقون. وتأوّله آخرون: وهم من أجلها سابقون.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله ابن عباس، من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها.

وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام؛ لأن ذلك أظهر معنييه، وأنه لا

حاجة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك، إلى تحويل معنى "اللام" التي في قوله: ﴿h W i W j﴾ إلى غير معناها الأغلب عليها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿k W l W m W n W o W p W q W r W s W t u W v W w W x W y﴾.

يقول تعالى ذكره: ولا نكلف نفسا إلا ما يسعَها ويصلح لها من العبادة؛ ولذلك كلَّفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله، وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع.

﴿q W r W s W t u W﴾ يقول: وعندنا كتاب أعمال الخلق بما عملوا من خير وشرّ، ينطق بالحقّ ﴿v W w W x W y﴾ يقول: يبين بالصدق عما عملوا من عمل في الدنيا، لا زيادة عليه ولا نقصان، ونحن موفو جميعهم أجورهم، المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿v W w W x W y﴾ يقول: وهم لا يظلمون، بأن يزاد على سيئات المسيء منهم ما لم يعمله فيعاقب على غير جُرْمه، وينقص المحسن عما عمل من إحسانه فينقص عَمَّا له من الثواب.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿à W á W â W ã W ä W å W æ W ç﴾ أي: هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح، مشفقون من الله خائفون منه، وجلون من مكره بهم، كما قال الحسن البصري: إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا.

﴿è W é W ê W ë W ì W í﴾ أي: يؤمنون بآياته الكونية والشرعية، كقوله تعالى إخبارًا عن مريم، عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿Ö W × W Ø W Ù W﴾ [التحريم: ١٢]، أي: أيقنت أن ما كان فإنما هو عن قدر الله وقضائه، وما شرعه الله فهو إن

كان أمرًا فمما يحبه ويرضاه، وإن كان نهيًا فهو مما يكرهه ويأباه، وإن كان خيرًا فهو حق، كما قال الله تعالى: ﴿ W ï W ð W ñ W ò W ó ﴾ أي: لا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحدًا صمدًا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأنه لا نظير له ولا كفء له.

وقوله: ﴿ X W Y W Z W [W \ W] W ^ W _ W ` W a W b ﴾ أي: يعطون العطاء وهم خائفون ألا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء. وهذا من باب الإشفاق والاحتياط.

وأورد ما أخرجه الإمام أحمد وغيره من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنها قالت: يا رسول الله: ﴿ X W Y W Z W [W \ W] W ﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عَزَّ وَجَلَّ؟ قال: «**لا يا بنت أبي بكر يا بنت الصديق؛ ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عَزَّ وَجَلَّ**» وفي رواية للترمذي بنحوه. وقال: «**لا يابنت الصديق، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم** ﴿ c W d W e W f W ﴾».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ k W l W m W n W o p .. ﴾.

يقول تعالى مخبراً عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا: أنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها، أي: إلا ما تطيق حمله والقيام به، وأنه يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء؛ ولهذا قال: ﴿ q W r W s W t W u W ﴾ يعني: كتاب الأعمال ﴿ v W w W w x ﴾ أي: لا يبخسون من الخير شيئا، وأما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده المؤمنين.

❁ ❁ ❁

س ٢ / ما معنى قوله تعالى: ﴿W … W „ W ƒ W , W • W € W • W ﴾ W ™ W ˜ W — W – W • ’ W • “ W Ž W • W Œ W ‹ W Š W ‰ W ¨ W § W ¦ W ¥ ¤ W £ W ¢ W ¡ W W Ÿ W ž W • W œ W › © ﴾.

ج: المعنـى والله أعلـم بـل قلـوب هـؤلاء المشـركين مغمـورة في الضـلال والكفر والغفلة عن هذا القرآن وعـن الـذكر الحكيم، وعـن الإيمـان والتوحيـد وعن الخصال الطيبة والفعـال الحميدة التي تحلـى بهـا وعملهـا أهـل الإيمـان الـذين ذكـرت أوصـافهم مـن قبـل أي قولـه تعالى: ﴿W € W • W ƒ W „ W … W † W ‡ ˆ ﴾ فحاصل معناه أن هؤلاء المكذبين المشركين كتـب الله ﷻ علـيهم أعمالًا سيئة غير الشرك به لـم يكونـوا عملوهـا وسـيعملونها بعـد أي فسيعيشـوا حتى يعملوها كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ فوالذي نفسي بيده إن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكـون بينه وبينهـا غيـر بـاع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمـل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غيـر ذراع أو ذراعين فيسـبق عليـه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها.

أما قوله تعالى: ﴿W Š W ‰ W Œ W • W Ž W • W • ‘ ﴾ فحاصل معناه أي أهل الكفر وأهل النعم منهم أهل الله الثراء أو المال يتقلبون في البلاد عمـلًا بمعصية الله ﷻ فيأتيهم العذاب بغتةً، فإذا بهم يصيحون ويضـجون ويصـرخون ويطلبون الإمهال فلا يمهلوا يسمع لهم الجؤار وهـو الصـوت المرتفـع العـالي ولكن لا مغيث ولا مجيب، وقد قال بعض أهل العلم إن ذلك كان يـوم بـدر إذ الله ﷻ أخزى أهل الكفر والشرك به وأكرم أهل الإيمان وأعزهم ونصرهـم.

أما أهل الكفر فكما تقدم فقد خزاهم الله وأبعدهم ولم يُجبهم مجيب ولم يُصرخهم مستصرخ ولم يغثهم مغيث فلا ناصر ينصرهم ولا شافع يشفع لهم فقد كانت آياتي في الدنيا تتلى عليكم فكلما جاءهم شيء من كتاب الله ﷻ كذبوا به وأنكروه وازدادوا غيًّا وضلالًا وكلما رأوا معجزة كذبوا بها.

كما قال تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ ﴾ [القمر: ٢].

فهؤلاء القوم كانوا إذا تليت عليهم الآيات ازدازد كُفرًا وضلالًا، وغواية ونفورًا هذا شأنهم عند تلاوة الآيات عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥] أي أن الآيات إذا أنزلت ازدادوا تكذيبا ونفورًا فمن ثمَّ ازدادوا غيًّا وضلالًا وكفرًا.

أما قوله تعالى﴿ W ¥ W ¦ W § W ¨ W © ﴾.

فلأهل العلم فيه أقوال:

أحدها: أن قوله مستكبرين به عائدٌ على الحرام، أي أن أهل مكة يشركون بالله ﷻ ويستكبرون بوجود الحرم في بلادهم، فيقولون نحن أهل الحرم لن نُهزم ولن نُغلب، ويتعالون على الناس، ومع ذلك فهم لا يصلون في الحرام ولا يوحدون الله فيه بل اسكبروا به على الناس وهجروه في ذات الوقت وما كان حظهم إلا السمر فيه ليلًا للقيل والقال.

الثاني: أن نزول القرآن ما زادهم إلى كبرًا ونفورًا وسمرًا بالليل للقيل والقال في شأن القرآن مع قولهم هجرًا من القول في شأن، أي باطلًا من القول في شأنه.

فلما نزل هذا القرآن كذبوا به فبطروا الحق بتكذيبهم وغمطوا الناس، بخسوهم حقوقهم، بخسوا أهل الإيمان حقوقهم ما آمنوا فوصفوهم بأقبح الأوصاف، ووصفوا القرآن كذلك بسيء الأوصاف، فمن قال إنه سحر ومن قال إنه قول شاعر، ومن قائل إن قول كاهن ومن قائل إنه أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلًا إلى غير ذلك من الأوصاف السيئة.

فعلى ذلك فقوله﴿ W ¥ W ¦ W ﴾ أي مستكبرين بسبب القرآن أي أنهم استكبروا على الإيمان به وكذبوه واتخذوه محلًا للسمر والتفكه) وقالوا فيه الهجر عن القول.

الثالث: أن قوله﴿ W ¥ W ¦ W ﴾ أي برسول الله ﷺ استكبروا عن الإيمان به حين أرسل إليهم وذلك بتكذيبهم له ونفورهم عنه، واتخذوا ذكر رسول الله ﷺ مجالًا للسخرية والاستهزاء في مجالسهم، فملؤوا مجالسهم بالفكاهات وشيء الأوصاف الهذا الرسول الكريم، وقالوا فيه هجرًا من القول أيضًا، والله أعلم.

وبنحو ما ذكر في تفسير الآيات قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون، من أن إمدادناهم بما نمدّهم به من مال وبنين، بخير نسوقه بذلك إليهم والرضا منا عنهم، ولكن قلوبهم في غمرة عمى عن هذا القرآن. وعنى بالغمرة: ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج. وعنى بقوله: ﴿ W • W ﴾ من القرآن.

وقوله: ﴿ W € W • W ƒ W „ W … W † W ‡ W ˆ ﴾ يقول تعالى ذكره:

ولهؤلاء الكفار أعمال لا يرضاها الله من المعاصي ﴿ W „ W ƒ W ﴾ يقول: من دون أعمال أهل الإيمان بالله، وأهل التقوى والخشية له.

وأورد من طريق: عن حميد قال: سألت الحسن عن قول الله ﴿ W , W € W ƒ W „ W … W † W ‡ W ˆ ﴾ قال: أعمال لم يعملوها سيعملونها.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ W € W • W „ W ƒ W „ W … W † W ‡ W ˆ ﴾ قال: لم يكن له بد من أن يستوفي بقية علمه، ويصلي به.

وقـال في تأويـل قوله تعالى: ﴿ W ‰ W Š W ‹ W Œ W • W Ž W • W • W ' W " W • W – W — W ˜ W ™ W š ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون، إلى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: ﴿ W Š W ‹ W Œ W • W ﴾ قال: المترفون: العظماء ﴿ W Ž W • W • W ' ﴾ يقول: فإذا أخذناهم به جأروا، يقول: ضجُّوا واستغاثوا مما حلّ بهم من عذابنا.

قال: وقوله ﴿ W W W " W • W ﴾ يقول: لا تضجوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم، فإن ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيئا مما قد نزل بكم من سخط الله. ﴿ W ˜ W ™ W š ﴾ يقول: إنكم من عذابنا الذي قد حل بكم لا تستنقذون، ولا يخلصكم منه شيء.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش: لا تضجوا اليوم وقد نزل بكم سخط الله وعذابه، بما كسبت أيديكم واستوجبتموه بكفركم بآيات ربكم.

› W œ W • W ž W Ÿ W ﴾ يعني: آيات كتاب الله، يقول: كانت آيات كتابي تقرأ عليكم فتكذّبون بها وترجعون مولين عنها إذا سمعتموها، كراهية منكم لسماعها. وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء: نكص فلان على عقبه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﴿ W ¥ W ¦ W ﴾ يقول: مستكبرين بحرم الله يقولون: لا يظهر علينا فيه أحد، لأنا أهل الحرم.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ § W ﴾ يقول: تَسْمُرون بالليل. ووحد قوله: ﴿ § W ﴾ وهو بمعنى السُّمَّار؛ لأنه وضع موضع الوقت. ومعنى الكلام: وتهجرون ليلا فوضع السامر موضع الليل، فوحد لذلك. وقد كان بعض البصريين يقول: وحد ومعناه الجمع، كما قيل: طفل في موضع أطفال. ومما يبين عن صحة ما قلنا في أنه وضع موضع الوقت فوحد لذلك، قول الشاعر:

مِـنْ دُونِهِـم إن جِئْـتَهُم سَـمَرًا عَـزْفُ القِيانِ وَمَجْلِـسٌ غَمْـرُ

فقال: سمرًا لأن معناه: إن جئتهم ليلًا وهم يسمرون وكذلك قوله: ﴿ § ﴾.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن سعيد بن جبير ﴿ § W ﴾ قال تسمرون بالليل بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: كانوا يسمرون ليلتهم ويلعبون يتكلمون بالشعر والكهانة ربما لا يمدرون.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ ¨ W © ﴾ اختلفت القرّاء في قراءته، فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿ ¨ W © ﴾ بفتح التاء وضم الجيم. ولقراءة من قرأ ذلك كذلك

وجهان من المعنى: أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بالإعراض عن القرآن أو البيت، أو رسول الله ﷺ ورفضه. والآخر: أن يكون عنى أنهم يقولون شيئا من القول كما يهجر الرجل في منامه، وذلك إذا هذى؛ فكأنه وصفهم بأنهم يقولون في القرآن ما لا معنى له من القول، وذلك أن يقولوا فيه باطلا من القول الذي لا يضره. وقد جاء بكلا القولين التأويل من أهل التأويل.

وأورد الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ ¨ W © ﴾ قال: الهَذَيَان؛ الذي يتكلم بما لا يريد، ولا يعقل كالمريض الذي يتكلم بما لا يدري. قال: كان أُبيّ يقرؤها: ﴿ § W ¨ W © ﴾.وقرأ ذلك آخرون: ﴿ § W ¨ W ﴾ بضم التاء وكسر الجيم. وممن قرأ ذلك كذلك من قرّاء الأمصار: نافع بن أبي نعيم، بمعنى: يفحشون في المنطق، ويقولون الخنا، من قولهم: أهجر الرجل: إذا أفحش في القول. وذكر أنهم كانوا يسُبُّون رسول الله ﷺ.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن الحسن في قوله ﴿ § W ﴾ تهجرون رسولي.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال منكرًا على الكفار والمشركين من قريش: ﴿ z W { W | W } W ﴾ أي: غفلة وضلالة ﴿ W • W ﴾ أي: القرآن الذي أنزله [الله تعالى] على رسوله ﷺ.

وقوله: ﴿ € W • W ƒ W „ W … W † W ‡ W ˆ ﴾: قال الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿ € W • ﴾ أي: سيئة من دون ذلك، يعني: الشرك، ﴿ … W † W ‡ W ˆ ﴾ قال: لا بد أن يعملوها. كذا روي عن مجاهد، والحسن، وغير واحد.

وقال آخرون: ﴿ € W • W ƒ W „ W … W † W ‡ W ˆ ﴾ أي: قد كتب عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة، لتحق عليهم كلمة العذاب.

ورُوِي نَحو هذا عن مقاتل بن حيَّان والسُّدِّيّ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وهو ظاهر قوي حسن. وقد قدمنا في حديث ابن مسعود: «**فوالذي لا إله غيره، إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها**».

وقوله: ﴿W ‰ W Š W ‹ W Œ W • W Ž W • W • W ‘﴾ يعني: حتى إذا جاء مترفيهم -وهم السعداء المنعمون في الدنيا- عذابُ الله وبأسه ونقمته بهم ﴿W Ž W • W • W ‘﴾ أي: يصرخون ويستغيثون، كما قال تعالى: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣﴾ [المزمل: ١١-١٣]، وقال تعالى: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣﴾ [ص: ٣].

وقوله: ﴿W ’ W “ W – W — W ˜ W ™ W š﴾ أي: لا نجيركم مما حل بكم، سواء جأرتم أو سكتُّم، لا محيد ولا مناص ولا وَزَرَ لزم الأمر ووجب العذاب.

ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال: ﴿W œ W ž W Ÿ W   W ¡ W ¢ W £ ¤﴾ أي: إذا دعيتم أبيتم، وإن طُلبتم امتنعتم: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

وقوله: ﴿W ¥ W ¦ W § W ¨ W ©﴾: في تفسيره قولان، أحدهما: أن مستكبرين حال منهم حين نكوصهم عن الحق وإبائهم إياه، استكبارًا عليه واحتقارًا له ولأهله، فعلى هذا الضمير في ﴿W ª﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنه الحرم بمكة، ذموا لأنهم كانوا يسمرون بالهُجْر من الكلام.

والثاني: أنه ضمير القرآن، كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام: «إنه سحر، إنه شعر، إنه كهانة» إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة.

والثالث: أنه محمدﷺ، كانوا يذكرونه في سمرهم بالأقوال الفاسدة، ويضربون له الأمثال الباطلة، من أنه شاعر، أو كاهن، أو ساحر، أو كذاب، أو مجنون. وكل ذلك باطل، بل هو عبد الله ورسوله، الذي أظهره الله عليهم، وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء.

وقيل: المراد بقوله: ﴿ ¥ W ¦ ﴾ أي: بالبيت، يفتخرون به ويعتقدون أنهم أولياؤه، وليسوا بهم، كما قال النسائي في التفسير من سننه.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

W ¸ W · W ¶ W ³ µ W ² W ± W ° W ¯ W ® W - ﴿ W ¬ W « W ª

W Æ W Å W Ä W Ã W Â W Á À ¾ W ¼ W » W ¿ W ¾ º W ½

W Ð W Ï W Î W Í W Ì W Ë W Ê W É W È W Ç

W Û W Ù W Ø W × W Ö W Õ W Ô W Ó W Ò Ñ

W é W è W ç W æ å W ä W ã W â W á à W ß W Þ W Ý W Ü

﴾ ô W ó W ò W ñ W ð W ï W î W í W ì ë W ê

[المؤمنون: ٦٨-٧٤].

س: وضح معنى ما يلي:

W Þ Ý – Õ – Ô – W Ì W Ë W Ê W Á À W « W

W ó W ò W ñ ß ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ W – W W﴾	يتفكروا في القرآن ويعقلون معانيه
﴿ W Á À﴾	جنون
W W Ê﴾ ﴿ Ì W	وافقهم الحق في كل ما يريدون وقال عددٌ من أهل العلم إن الحق هو الله ﷻ أي رافقهم الله في كل ما يريدون ويهوون
﴿ W Ô﴾	أتيناهم بما فيه شرفٌ لهم وعزٌّ لهم
﴿ W Õ ﴾	أتيناهم بما فيه تذكيرٌ لهم وبيان لهم
﴿ W Ý﴾	أجرًا
﴿ W ß W Þ﴾	فرزق ربك، وأجر ربك وثواب ربك
﴿ ó ò ñ ﴾	عن طريق الحق لمنحرفون

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ W - W ® W ¯ W ° W ± W ² W ³ W ´

W Ç W Æ W Å W Ä W Ã W Â W Á À W ¿ W ¾ W ½ W ¼ W ¸ W · W ¶ W µ

È ﴾.

ج: المعنى والله أعلم أفلم يتفكر هؤلاء المشركون فيما أُنزل عليهم من قول الله ﷻ، أولم يتفكروا في هذا القرآن الكريم ويتعقلوا آيات أم أنهم قد جاءهم من القول من الرسل ما لم يأت أبارهم الأولين فهم لذلك منكرون فقوله﴿ W ® WW﴾ تحتمل أوين أحد هي أن تكون استفهامية فيكون المعنى أفقد جاءهم من الرسل ما لم يأت أباءهم الأولين (بمعنى الأقدمين) فإذا كان كذلك فقد أخطأوا فقد جاءت رسلٌ قبل رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٩] ثم إنهم يوفون عددًا من الرسل كإبراهيم عليه السلام وموسى وعيسى عليهما السلام.

فعليه يكون المعنى استفهام للتوبيخ والمراد قد جاءتكم رسلٌ من قبلي فلم تنكرون أن أكون رسولاً وقد جئتكم بالبيات من ربكم.

والثاني: أن تكون﴿ WW﴾ بمعنى بل، ويكون المعنى بل جاءهم من الرسل والكتب، رسول وكتاب أم الرسول فهو محمد ﷺ وأما الكتاب فهو القرآن فيكون المعنى قد جاءهم ما لم يأت أباءهم الأولين فكان من اللائق، وقد تفضل الله عليهم بإرسال رسول إليهم، ولم يرسله لأباتهم كان من اللائق أن يشكروا هذه النعمة من الله ويبادروا بالإيمان والتصديق، فقد قالوا من قبل لو أن عندنا ذِكرًا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين.

وكانوا كما قال تعالى: ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٦-١٥٧]. ويؤيد هذا القول قوله تعالى ﴿ W † W ‡ W ˆ W ‰ W Š W ‹ ﴾ [يس: ٦].

أما قوله تعالى﴿ ¶ WW ¹ W º W » W ¼ ﴾ فالاستفهام على بابه،

والمعنى أفيجهلون رسول الله من هو فمن ثمَّ ينكرونه كلا بل إنهم يوفونه ويعرفون صدقه وأمانته ونسبه وكريم أخلاقه ﴿ ½ ¾ ¿ W À Á W ﴾ أفيقولون عنه مجنون كلا وحاشاه بل قد جاءهم بالحق، وكل ما جاءهم به ودعاهم إليه حق ولكن أكثرهم للحق وللإذعان للحق كارهون.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه، فيعلموا ما فيه من العبر، ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليهم فيه؟ ﴿ W ® W ¯ W ° W ± W ² W ³ W ´ ﴾؟ يقول: أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم، فاستكبروا ذلك وأعرضوا، فقد جاءت الرسل من قبلهم، وأنزلت معهم الكتب. وقد يحتمل أن تكون ﴿ W ﴾ في هذا الموضع بمعنى: بل، فيكون تأويل الكلام: أفلم يدبروا القول؟ بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين، فتركوا لذلك التدبر وأعرضوا عنه، إذ لم يكن فيمن سلف من آبائهم ذلك.

وقوله: ﴿ µ W ¶ W · W ¸ W ﴾ يقول تعالى ذكره: أم لم يعرف هؤلاء المكذّبون محمدًا، وأنه من أهل الصدق والأمانة فهم له منكرون، يقول: فينكروا قوله، أو لم يعرفوه بالصدق، ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه. يقول جلّ ثناؤه: فكيف يكذّبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والأمانة ﴿ ½ W ¾ W ¿ W À Á ﴾ يقول: أيقولون بمحمد جنون، فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ولا يدري ما يقول ﴿ Â W Ã W Ä W ﴾.

يقول تعالى ذكره: فإن يقولوا ذلك فكذبهم في قيلهم ذلك واضح بَيّن، وذلك أن المجنون يهذي فيأتي من الكلام بما لا معنى له، ولا يعقل ولا يفهم، والذي جاءهم به محمد هو الحكمة التي لا أحكم منها والحقّ الذي لا تخفى

صحته على ذي فطرة صحيحة، فكيف يجوز أن يقال: هو كلام مجنون؟

وقوله: ﴿ È W Ç W Æ W ﴾ يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ولا أن محمدا عندهم مجنون، بل قد علموه صادقا محقا فيما يقول وفيما يدعوهم إليه، ولكن أكثرهم للإذعان للحقّ كارهون ولأتباع محمد ساخطون؛ حسدا منهم له وبغيا عليه واستكبارا في الأرض.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منكرًا على المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم، وتدبرهم له وإعراضهم عنه، مع أنهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله على رسول أكمل منه ولا أشرف، لا سيما وآباؤهم الذين ماتوا في الجاهلية، حيث لم يبلغهم كتاب ولا أتاهم نذير، فكان اللائق بهؤلاء أن يقابلوا النعمة التي أسداها الله إليهم بقبولها، والقيام بشكرها وتفهمها، والعمل بمقتضاها آناء الليل وأطراف النهار، كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، ورضي عنهم.

وقال قتادة: ﴿ W « W ¬ ﴾ إذًا والله يجدون في القرآن زاجرًا عن معصية الله لو تدبره القوم وعقلوه، ولكنهم أخذوا بما تشابه، فهلكوا عند ذلك.

ثم قال منكرا على الكافرين من قريش: ﴿ W ¶ W · W ¸ W ¹ W º W » W ¼ ﴾ أي: أَفَهُمْ لا يعرفون محمدًا وصدقه وأمانته وصيانته التي نشأ بها فيهم، أفيقدرون على إنكار ذلك والمباهتة فيه؟ ولهذا قال جعفر بن أبي طالب، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، للنجاشي ملك الحبشة: أيها الملك، إن الله بعث إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته.

وهكذا قال المغيرة بن شعبة لنائب كسرى حين بارزهم وكذلك قال أبو سفيان صخر بن حرب لملك الروم هرقل، حين سأله وأصحابه عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه وصدقه وأمانته، وكانوا بعد كفارًا لم يسلموا، ومع هذا ما أمكنهم إلا الصدق فاعترفوا بذلك.

وقوله: ﴿ W ½ W ¾ W ¿ W À Á W ﴾ يحكي قول المشركين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تقوَّل القرآن، أي: افتراه من عنده، أو أن به جنونا لا يدري ما يقول. وأخبر عنهم أن قلوبهم لا تؤمن به، وهم يعلمون بطلان ما يقولونه في القرآن، فإنه قد أتاهم من كلام الله ما لا يُطاق ولا يُدافع، وقد تحداهم وجميع أهل الأرض أن يأتوا بمثله، فما استطاعوا ولا يستطيعون أبد الآبدين؛ ولهذا قال: ﴿ Â W Ã W Ä W Å W Æ W Ç W È ﴾ يحتمل أن تكون هذه جملة حالية، أي: في حال كراهة أكثرهم للحق، ويحتمل أن تكون خبرية مستأنفة، والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ª W « W ¬ ﴾ يعني القرآن وهو كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ ﴾ [النساء: ٨٢] وسمي القرآن قولا لأنهم خوطبوا به ﴿ W ® W ¯ W ° W ± W ² W ³ W ´ ﴾ فأنكروه وأعرضوا عنه وقيل: ﴿ W ﴾ بمعنى بل أي بل جاءهم ما لا عهد لآبائهم به فلذلك أنكروه وتركوا التدبر له وقال ابن عباس: وقيل: المعنى أم جاءهم أمان من العذاب وهو شيء لم يأت آباءهم الأولين فتركوا الأعز.

وقوله تعالى: ﴿ W ¶ W · W ¸ W ¹ W º W » W ¼ ﴾.

هذا تستعمله العرب على معنى التوقيف والتقبيح فيقولون: الخير أحب إليك أم الشر أي قد أخبرت الشر فتجنبه وقد عرفوا رسولهم وأنه من أهل

الصدق والأمانة ففي اتباعه النجاة والخير لولا العنت قال سفيان: بلى ! قد عرفوه ولكنهم حسدوه !

وقوله تعالى: ﴿ ½ W ¾ W ¿ À Á W Â W Ã W Ä W Å W Æ W Ç W È ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ½ W ¾ W ¿ À Á ﴾ أي أم يحتجون في ترك الإيمان به بأنه مجنون فليس هو هكذا لزوال أمارات الجنون عنه ﴿ Â W Ã W Ä ﴾ يعني القرآن والتوحيد الحق والدين الحق ﴿ Å W ﴾ أي كلهم ﴿ Æ W Ç W È ﴾ حسدا وبغيا وتقليدا.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى ﴿ É W Ê W Ë W Ì W Í W Î W Ï W Ð W Ñ Ò W Ó W Ô W Õ W Ö W × W Ø W Ù W Ú ﴾.

ج: لأهل العلم هنا قولان:

أحدهما: أن الحق هو الله ﷻ فيكون المعنى، ولو وافقهم الله ﷻ في كل ما يريدون ويهدون لفسدت السموات والأرض وذلك لأن، أهواءهم مختلفة وأراءهم متعارضة وشهواتهم متناقضة، ومن ثمَّ لو وافقهم الله في كل ما يريدون لفسدت السموات والأرض وفسد كل شيء فيها، لأن السموات والأرض قامتا بالحق.

والوجه الثاني: أن الحق هو التشريع الذي أنزله الله فيكون المعنى، ولو جاءت الأحكام وتفسير الآيات وفق ما يريدون ويهوون لفسدت السموات والأرض من فيهن، وذلك أيضًا لاختلافهم وتناقضهم وتعدد أرائهم.

أما قوله ﴿ Ó W Ô W Õ ﴾ ففي ﴿ Õ W ﴾ أيضًا وجهان:

أحدهما: شرفهم وعزهم، أي قد أتيناهم بما فيه إن اتبعوه شرفٌ لهم وعزٌّ

لهم ولكنهم هذا الشرف موصونة عن هذا العزِّ معرضون، ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ ﴾ أي شرف لك ولقومك.

والثاني: أن المراد ﴿ W Õ ﴾ بما فيه بيانٌ لهم بأحكام الله ﷻ وشرائعه، وما هو حق، وما هو باطل، فأعرضوا عن هذا البيان وعن هذا القرآن، والله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولو عمل الربّ تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم وترك الحق الذي هم له كارهون، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن؛ وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيح من التدبير والفاسد، فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع إيثار أكثرهم الباطل على الحقّ، لم تقرّ السموات والأرض ومن فيهنّ من خلق الله، لأن ذلك قام بالحق.

وقال وقوله ﴿ Ó W Ô W Õ W Ö W × W Ø W Ù W Ú ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل الذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو بيان الحقّ لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل أتيناهم بشرفهم؛ وذلك أن هذا القرآن كان شرفا لهم، لأنه نزل على رجل منهم، فأعرضوا عنه وكفروا به، وقالوا: ذلك نظير قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ ﴾ وهذان القولان متقاربا المعنى؛ وذلك أن الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما لخلقه إليه الحاجة من أمر دينهم، وهو مع ذلك ذكر لرسوله ﷺ وقومه وشرف لهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﴿ W Ò Ñ W Ð W Ï W Î W Í W Ì W Ë W Ê W É ﴾ قال مجاهد، وأبو صالح والسدي: الحق هو الله عز وجل، والمراد: لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى، وشرع الأمور على وفق ذلك ﴿ W Î W Í ﴾ ﴿ W Ò Ñ W Ð W Ï ﴾ أي: لفساد أهوائهم واختلافها، كما أخبر عنهم في قولهم: ﴿ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ ثم قال: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ ﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢] وقال تعالى: ﴿ W © W ¨ W § W ¦ W ¥ W ¤ W £ W ¢ W ¡ W ª « W ¬ W - W ® W ﴾ [الإسراء: ١٠٠] وقال: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ٥٣]، ففي هذا كله تبيين عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم، وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله، وشرعه وقدره، وتدبيره لخلقه تعالى وتقدس، فلا إله غيره، ولا رب سواه.

ثم قال: ﴿ Ó Ô Õ ﴾ يعني: القرآن ﴿ Ö × Ø Ù ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ W É W Ê W Ë ﴾ ﴿ W Ì ﴾ هنا هو الله سبحانه وتعالى قاله الأكثرون منهم مجاهد و ابن جريج وأبو صالح وغيرهم وتقديره في العربية: ولو اتبع صاحب الحق قاله النحاس وقد قيل: هو مجاز أي لو وافق الحق أهواءهم فجعل موافقته اتباعا مجازا أي لو كانوا يكفرون بالرسل ويعصون الله عز و جل ثم لا يعاقبون ولا يجازون على ذلك إما عجزا وإما جهلا لفسدت السموات والأرض وقيل: المعنى ولو كان الحق ما يقولون من اتخاذ آلهة مع الله تعالى لتنافت الآلهة وأراد بعضهم ما لا يريده بعض فاضطرب التدبير وفسدت السموات والأرض وإذا فسدتا فسد من فيهما وقيل: ﴿ W É W Ê W Ë ﴾

W Ì ﴾ أي بما يهواه الناس ويشتهونه لبطل نظام العالم لأن شهوات الناس تختلف وتتضاد وسبيل الحق أن يكون متبوعا وسبيل الناس الانقياد للحق وقيل: ﴿ Ë W ﴾ القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون ﴿ W Ï W Î W Í W Ð W Ñ Ò W ﴾ إشارة إلى من يعقل من ملائكة السموات وإنس الأرض وجنها الماوردي وقال الكلبي: يعني وما بينهما من خلق وهي قراءة ابن مسعود لفسدت السماوات والأرض وما بينهما فيكون على تأويل الكلبي وقراءة ابن مسعود محمولا على فساد من يعقل وما لا يعقل من حيوان وجماد وظاهر التنزيل فير قراءة الجمهور يكون محمولا على فساد ما يعقل من الحيوان لأن ما لا يعقل تابع لما يعقل في الصلاح والفساد فعلى هذا ما يكون من الفساد يعود على من في السموات من الملائكة بأن جعلت أربابا وهي مربوبة وعبدت وهي مستعبدة وفساد الإنس يكون على وجهين: أحدهما: باتباع الهوى وذلك مهلك الثاني: بعبادة غير الله وذلك كفر وأما فساد ما عدا ذلك فيكون على وجه التبع لأنهم مدبرون بذوي العقول فعاد فساد المدبرين عليهم

وقوله تعالى: ﴿ Ó W Ô W Õ ﴾ أي بما فيه شرفهم وعزهم قاله السدي وسفيان وقال قتادة: أي بما لهم فيه ذكر ثوابهم وعقابهم ابن عباس: أي ببيان الحق وذكر ما لهم به حاجة من أمر الدين ﴿ Ö W × W Ø W Ù ﴾.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ Ú W Û W Ü W Ý W Þ W ß W à á W â W ã W ä W å W æ W ç W è W é W ê W ë ì W í W î W ï W ð W ñ W ò W ó W ô ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أفأعرض هؤلاء المشركون عن الحق، وعن الإيمان، وعن اتباعك فيما تدعوهم إليه من أمر الله ﷻ لكونك تسألهم على ذلك أجرا، كلا فما سألتهم يا رسول الله أجرًا على إيمانهم وعلى ما جئتهم

بل، بل ثواب الله وعطاءه لك وجزاؤه لك خير من أي أجرٍ آخر من البشر، وربك خير من رزق وخيرٌ من أعطى وتفضل، وإنك يا رسول الله العلي الحق وتدعوهم إلى الطريق المستقيم الذي يقودهم إلى جنة الله ﷻ وإلى مرضاته وإن أهل الكفر عن هذا الطريق المستقيم لمنحرفون، عادلون عنه، أي منحرفون عنه متنكبون عنه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خراجا، يعني أجرا على ما جئتهم به من عند الله من النصيحة والحقّ؛﴿Þ W ß W á à ﴾ فأجر ربك على نفاذك لأمره، وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك، ولم يسألهم ﷺ على ما أتاهم به من عند الله أجرا، قال لهم كما قال الله له، وأمره بقيله لهم: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ [الشورى: ٢٣] وإنما معنى الكلام: أم تسألهم على ما جئتهم به أجرا، فنكصوا على أعقابهم إذا تلوته عليهم، مستكبرين بالحرم، فخراج ربك خير.

وقوله ﴿â W ã W ä W å ﴾ يقول: والله خير من أعطى عوضا على عمل ورزق رزقا.

وقوله ﴿æ W ç W è W é W ê W ë ﴾ يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك إلى دين الإسلام، وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

وقال في تأويل قوله تعالى ﴿ì W í W î W ï W ð W ñ W ò W ó W ﴾.

يقول تعالى ذكره: والذين لا يصدّقون بالبعث بعد الممات، وقيام الساعة،

ومجازاة الله عباده في الدار الآخرة؛ ﴿ W ó W ò W ﴾ يقول: عن محجة الحق وقصد السبيل، وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده العادلون. يقال منه: قد نكب فلان عن كذا: إذا عدل عنه، ونكب عنه: أي عدل عنه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله ﴿ W Ý W Ü W Û ﴾: قال الحسن: أجرا. وقال قتادة: جعلا ﴿ W Þ W ß W à á ﴾ أي أنت لا تسألهم أجرة ولا جعلا ولا شيئا على دعوتك إياهم إلى الهدى، بل أنت في ذلك تحتسب عند الله جزيل ثوابه، كما قال: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [سبأ: ٤٧]، وقال: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [ص: ٨٦]، وقال: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يس: ٢٠، ٢١].

وقوله ﴿ W í W î W ï W ð W ñ W ò W ó W ô ﴾ أي: لعادلون جائرون منحرفون. تقول العرب: نكب فلان عن الطريق: إذا زاغ عنها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أم تسألهم رزقا فرزق ربك خير ﴿ â W ã W ä W å ﴾ أي ليس يقدر أحد أن يرزق مثل رزقه ولا ينعم مثل إنعامه وقيل: أي ما يؤتيك الله من الأجر على طاعتك له والدعاء إليه خير من عرض الدنيا وقد عرضوا عليك أموالهم حتى تكون كأعين رجل من قريش فلم تجبهم إلى ذلك قال معناه الحسن والخرج والخراج واحد إلا أن اختلاف الكلام أحسن قاله الأخفش وقال أبو حاتم: الخرج الجعل والخراج العطاء المبرد: الخرج المصدر والخراج الاسم وقال النضر بن شميل: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الفرق

بين الخرج والخراج فقال: الخراج ما لزمك والخرج ما تبرعت به وعنه أن الخرج من الرقاب والخراج من الأرض ذكر الأول الثعلبي والثاني الماوردي.

وقوله تعالى ﴿æ W ç W è W é W ê W ë﴾ أي إلى دين قويم والصراط في اللغة الطريق فسمي الدين طريقا لأنه يؤدي إلى الجنة فهو طريق إليها ﴿ì W í W î W ï W ð W﴾ أي بالبعث ﴿W ò W ó W ô﴾ قيل: هو مثل الأول وقيل: إنهم عن طريق الجنة لناكبون حتى يصيروا إلى النار نكب عن الطريق ينكب نكوبا إذا عدل عنه ومال إلى غيره ومنه نكبت الريح إذا لم تستقم على مجرى وشر الريح النكباء.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٥ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣ ﴾

[المؤمنون: ٧٥-٨٣].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ - يَعْمَهُونَ - فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ - وَمَا يَتَضَرَّعُونَ - مُبْلِسُونَ - قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ - ذَرَأَكُمْ - تُحْشَرُونَ - أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾	لتمادوا واستمروا في كفرهم وشركهم وظلمهم
﴿يَعْمَهُونَ﴾	يتحيرون ويترددون
﴿فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ﴾	فما خضعوا لربهم ﷻ، وما تذللوا له
﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾	وما يدعونه وما يسألونه ويلجؤون إليه
﴿مُبْلِسُونَ﴾	آيسون من الرحمة
﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾	شكركم قليل - قليلٌ منكم الشاكر
﴿ذَرَأَكُمْ﴾	خلقكم
﴿تُحْشَرُونَ﴾	تجمعون يوم القيامة
﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	قصص وحكايات الأولين

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم أن هو الكفار لا ينتفعون بالآيات والنذر،

وكذا لا ينتفعون بإكرام الله ﷻ لهم فيؤمنوا فسواء عليهم رحمهم الله وأنزل عليهم الغيث من السماء يرحمهم به بعد مهلكةس كانوا فيها، وبعد عطش شديد وهلاك للأموال والأنفس والبهائم والثمرات فانزل عليهم ماءًا من السماء شربوا وسقت أنعامهم وزروعهم فنمت أرضهم وأنبتت وأثمرت وسمنت بهائهم فحلبوا ألبانها واستقوا وصحت أبدانهم من العلل كذلك.

وكذا لو كشفنا عنهم بلاءً حلَّ بهم من أجسادهم ورفعنا عنهم التفرد والمسكنة والمذلة وغير ذلك من أنواع الضر، ما انتفعوا بذلك بل لتمادوا في كفرهم وظلمهم وتجاوزهم حدود الله تجاوزًا شديدًا واستمروا فيما هم فيه مترددون من كفرٍ إلى كفرٍ ومن ضلالٍ إلى ضلال ومن حيرة إلى حيرة، وكذا لو بدلنا الأهوال فبد لنا النعم إلى نقم والرحمة عذابًا والصحة والعافية مرضًا وسقمًا أيضًا ما حملهم ذلك على الخضوع لربهم والتذلل له وبيان الافتقار إليه وسؤاله ورجاءه ودعائه.

وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ حاصل معناه والله أعلم أنه أهل الكفر لما لم ينتفعوا بالمجاعات والأمراض ونحو ذلك ولم ينتفعوا كذلك بالرحمة والعافية وسعة الأرزاق شأنهم شأن الأمم المكذبة قبلهم، إذ الله قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٤-٩٥] فالحاصل أنهم لما لم ينتفعوا بهذا ولا بذاك، ولم يهتدوا إلى الإيمان بعد تقليب الأمور والأحوال وتغيرها وتنوع الابتلاءات بالسراء والضراء، فتح لله لهم بابًا ذا عذابا شديدٍ، جآءهم من الله عذابٌ شديد وفتحت عليهم أبواب، إذا هم أيسون

يائسون لا يدرون ماذا يصنعون ولا يدرون إلى أي مكان يفرون ويذهبون. وإذا هم أيسون من الرحمة والعافية.

وقد قيل إن هذا العذاب الشديد هو عذاب النار فلا نجاة معها إذا دخلوها، لا خروج لأهل الشرك منها ولا سلامة لهم فيها.

وقيل: إن هذا العذاب الشديد هو ما حلَّ بهم يوم بدر من القتل، وقيل إن عذاب شديدٌ في الدنيا تمثل في مجاعات عظيمة حتى أكلوا الميتة، ومصوا النوى من شدة الجوع، والله تعالى أعلم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ يقول تعالى: ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة، ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجدب وضرّ الجوع والهزال؛ ﴿لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ يعني في عتوّهم وجرأتهم على ربهم. ﴿يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾ يعني: يتردّدون.

يقول تعالى ذكره: ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا، وأنزلنا بهم بأسنا، وسخطنا وضيقنا عليهم معايشهم، وأجدبنا بلادهم، وقتلنا سراتهم بالسيف. ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾ يقول: فما خضعوا لربهم فينقادوا لأمره ونهيه، وينيبوا إلى طاعته ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ يقول: وما يتذللون له.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب القتال، فقتلوا يوم بدر.

وقال آخرون: معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر، وهو الباب ذو العذاب الشديد.

وقوله: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٧﴾ يقول: إذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حزنى نادمون على ما سلف منهم، في تكذيبهم بآيات الله، في حين لا ينفعهم الندم والحزن.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾: يخبر تعالى عن غلظهم في كفرهم بأنه لو أراح عللهم وأفهمهم القرآن، لما انقادوا له ولاستمروا على كفرهم وعنادهم وطغيانهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وقال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٩]، فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون، لو كان كيف يكون.

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ ﴾ أي: ابتليناهم بالمصائب والشدائد، ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي: فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة، بل استمروا على ضلالهم وغيهم. ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ أي: ما خشعوا، ﴿ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي: ما دعوا، كما قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٣].

وأورد حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن ابن عباس، أنه قال: جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، أنشدك الله والرحم، فقد أكلنا العلهز -يعني: الوبر والدم- فأنزل الله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾.

وأصل هذا الحديث في الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين استعصوا فقال: «**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**».

وقوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ أي: حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم الساعة بغتة وأخذهم من عقاب الله ما لم يكونوا

يحتسبون، فعند ذلك أبْلَسُوا من كل خير، وأيسوا من كل راحة، وانقطعت آمالهم ورجاؤهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾ أي لو رددناهم إلى الدنيا ولم ندخلهم النار وامتحناهم ﴿ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ ﴾ قال السدي في معصيتهم ﴿يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ قال الأعمش: يترددون وقال ابن جريج: ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ ﴾ يعني في الدنيا ﴿ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾ أي من قحط وجوع ﴿ لَّلَجُّوا۟ ﴾ أي لتمادوا في ﴿ طُغْيَٰنِهِمْ ﴾ وضلالتهم وتجاوزهم الحد ﴿ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ يتذبذبون ويخبطون.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ ﴾ قال الضحاك: بالجوع وقيل: بالأمراض والحاجة والجوع وقيل: بالقتل والجوع ﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ ﴾ أي ما خضعوا ﴿ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي ما يخشعون لله ﷻ في الشدائد تصيبهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات المباركات: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم والله الذي أنشأ لكم السمع تسمعون به والأبصار ترون بها، والأفئدة تعقلون بها، ولكن قلَّ منكم من يقدم شكرًا لله ﷻ، ومن قدَّ من منكم شكرًا فشكره قليل.

والله هو الذي خلقكم وأنشأكم وأحدثكم في الأرض تعيشون عليها

حياتكم الدنيا إلى أن تنقضي آجالكم فتموتوا ثم تحشروا إليه يوم القيامة والله هو الذي يحي خلقه إذ خلقهم من نطفةٍ ثم من علقة ثم من مضغة ثم أخرجهم طفلًا من بطون أمهاتهم فعاشوا في الدنيا ما شاء الله أن يعيشوا ثم يميتكم إذا انقضت آجالكم التي كتبها الله لكم وأمر الليل والنهار إليه يقلب الله الليل والنهار، ويولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، يدخل هذا في ذاك فيطوله ثم تنعكس الأمور، ويكون القصير طويلًا والطويل قصيرًا، والحر باردًا والبارد حارًا أفلا تفهمون وتعقلون قدرة الله أفلا تتوصلون بما ترونه من هذه الآيات إلى أن هذا الكون له إلهٌ يدبر الأمر؟؟!! كل هذا المذكور كان ينبغي أن يُتفكر فيه ويُتأمل ويستدل به على وحدانية الله وقدرته على كل شيء وكذا على قدرته على كل شيء وكذا على قدرته على إحياء الأنفس بعد موتها وعلى تصديقه فيما أخبر به على ألسنة رسله والذي منه البعث والثواب والعقاب، إلا أنه أهل الكفر لم يهتدوا لهذا بل كذبوا بالبعث، وقالوا مثلما قال آباؤهم الأولون قالوا مستكبرين كما قال آباءهم أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون، أي لمبعوثون بعد الموت خلقا جديدًا لقد وعدنا نحن وآباؤنا مثل هذه الوعود بالبعث من قبل هذا، ولكن لم يحصل شيء من ذلك فما هي إلا وعود كاذبة وقصص وخرافات وحكايات الأقوام الذين تقدمونا ولن يحصل منها شيء وليس هناك بعث ولا ثواب ولا عقاب.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله الذي أحدث لكم أيها المكذّبون بالبعث بعد الممات السمعَ الذي تسمعون به، والأبصَارَ التي تبصرون بها، والأفئدة التي

تفقهون بها، فكيف يتعذّر على من أنشأ ذلك ابتداء إعادته بعد عدمه وفقده، وهو الذي يوجد ذلك كله إذا شاء ويفنيه إذا أراد ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ يقول: تشكرون أيها المكذّبون خير الله من عطائكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والله الذي خلقكم في الأرض وإليه تُحْشَرونَ من بعد مماتكم، ثم تبعثون من قبوركم إلى موقف الحساب.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

يقول تعالى ذكره: والله الذي يحيي خلقه يقول: يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نطفا أمواتا، بنفخ الروح فيها بعد التارات التي تأتي عليها، ﴿وَيُمِيتُ﴾ يقول: ويميتهم بعد أن أحياهم ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ﴾ يقول: وهو الذي جعل الليل والنهار مختلفين، كما يقال في الكلام: لك المنّ والفضل، بمعنى: إنك تمنّ وتفضل. وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ يقول: أفلا تعقلون أيها الناس، أن الذي فعل هذه الأفعال ابتداء من غير أصل، لا يمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم، وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله، و لا تدبروا ما احتجّ عليهم من الحجج والدلالة على قدرته، على فعل كلّ ما يشاء، ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الأمم المكذّبة رسلها قبلهم: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ يقول: أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا، وبرأت عظامنا من

لحومنا ﴿ أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

يقول: إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، كهيئتنا قبل الممات؟ إن هذا لشيء غير كائن.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قالوا: لقد وعدنا هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد، وَوَعَد آباءنا من قبلنا قومٌ ذكروا أنهم لله رسل من قبلك، فلم نره حقيقة ﴿إِنۡ هَٰذَآ ﴾ يقول: ما هذا الذي تعدنا من البعث بعد الممات ﴿ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ يقول: ما سطره الأولون في كتبهم من الأحاديث والأخبار، التي لا صحة لها و لا حقيقة.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر تعالى نعمته على عباده في أن جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة، وهي العقول والفهوم، التي يدركون بها الأشياء، ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى، وأنه الفاعل المختار لما يشاء.

وقوله: ﴿ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ أي: وما أقل شكركم لله على ما أنعم به عليكم، كقوله: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر، في بَرْئة الخليقة وذرئه لهم في سائر أقطار الأرض، على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم، ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم والآخرين لميقات يوم معلوم، فلا يترك منهم صغيرا ولا كبيرا، ولا ذكرا ولا أنثى، ولا جليلا ولا حقيرا، إلا أعاده كما بدأه؛ ولهذا قال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ أي: يحيي الرمم ويميت الأمم، ﴿ وَلَهُ

ﭐخْتِلَافُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ ﴾ أي: وعن أمره تسخير الليل والنهار، كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا، يتعاقبان لا يفتران، ولا يفترقان بزمان غيرهما، كقوله تعالى:

W Û W Ü W Ý W Þ W ß W à W á W â W ã W ä å W æ W ç W è W é ﴿[يس: ٤٠].

وقوله: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ أي: أفليس لكم عقول تدلكم على العزيز العليم، الذي قد قهر كل شيء، وعز كل شيء، وخضع له كل شيء.

ثم قال مخبرا عن منكري البعث، الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين: ﴿ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ يعني يستبعدون وقوع ذلك بعد صيرورتهم إلى البلى، ﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ يعنون: [أن] الإعادة محال، إنما يخبر بها من تلقاها عن كتب الأولين واختلاقهم. وهذا الإنكار والتكذيب منهم كقوله تعالى إخبارا عنهم: ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾ [النازعات: ١١-١٤]، وقال تعالى: ﴿ W • W

W ' W ' W " W " W • W – W — W ™ W š W › W œ W ž W Ÿ W ¡ W ¢ W £ W

¤ W ¥ W ¦ W § W ¨ W © W ª W « W ¬ W ® - W ¯ W ° W ± W ² W ³ ﴿ [يس: ٧٧-٧٩].

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

[المؤمنون: ٨٤-١٠٠].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ - ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ - يُجِيرُ - وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ - فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ - لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ - بِمَا خَلَقَ - وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ - سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ - ٱلْغَيْبِ - وَٱلشَّهَٰدَةِ - فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ - إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ - فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ - مَا نَعِدُهُمْ - ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ - أَعُوذُ بِكَ - هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ - ٱرْجِعُونِ - كَلَّآ - كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا - بَرْزَخٌ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	أفلا تتعظون وتعتبرون
﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾	العرش الكبير عظيم القدر
﴿يُجِيرُ﴾	يحفظ وينصر ويدفع عنه السوء والمكروه
﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾	لا يمنع منه أحدٌ، ولا يستطيع أحدٌ أن يمنع أحدًا من الله ولا أن يدفع عنه شيئًا أراده الله به
﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾	من أي وجه تصرفون عن الحق إلى الباطل من أي وجه تزيفون الحق، وقريبا لكم دلائله
﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾	لا نفرد كل إله بمخلوقاته
﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	لاستكبر كل إلهس على الأخر، وحاول أن يسلبه ملكه

﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	تنزه الله ﷻ عن كل ما لا يليق به مما يصفه الواصفون المشركون
﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾	ما غاب عن الأعين والحواس
﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾	فاظهر من الأمور
﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾	تقدس وترفع عن الشركاء
﴿إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾	إذا أريتني ما وعدتهم من العذاب وأنا حي إذا أحللت بهم عذابك وأنا حي
﴿فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	فلا تجعلني مع المعذبين
﴿مَا نَعِدُهُمۡ﴾	ما نخبرهم به من العذاب
﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾	قابل الإساءة بإحسان
﴿أَعُوذُ بِكَ﴾	ألجأ إليك وأستجير بك
﴿هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾	نخس الشياطين وغمزهم
﴿ٱرۡجِعُونِ﴾	ردوني إلى الحياة الدنيا
﴿كَلَّآ﴾	كلمة ردع وزجر
﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾	مجرد كلمة، وقيل كلمة لابد وأن يقولها

﴿بَرۡزَخٌ﴾	حجاب بينه وبين الرجوع إلى الدنيا وقيل المدة ما بين موته إلى مبعثه يوم القيامة

❀ ❀ ❀

س: هل كان أهل الشرك يعرفون الله بعض المعرفة ويقرون له بأنه الخالق الرازق ونحو ذلك؟

ج: نعم كان أهل الشرك يعرفون الله ﷻ دلَّ على ذلك إقرارهم، إذ الله قال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥﴾

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف: ٩].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝١٦﴾ [ص: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦].

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ۝٨٩ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا

بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين بالبعث الجاحدين وحدانية الله ﷻ لمن ملك الأرض ولمن ملك من فيها ومن المتصرف في الأرض ومن المتصرف فيما فيها إن كان عندكم علم بذلك أفيدوني، فسيقولون الله، أي أن ملك الأرض ومن فيها لله ﷻ يتصرف فيها بما يشاء وتقضي فيها بما يريد عزَّ وجل وتعالى وتقدس، وكذا له ملك ما في الأرض يتصرف فيه كيف يشاء ويقضي فيه بالذي يريد، فقل لهم يا رسول الله إن هم أجابوك بهذا الجواب أفلا تذكرون أفلا تتعظون وتعتبرون وتؤمنون بالله ﷻ على كل شيء قدير وأنه على بعثكم لقدير.

ثم قل لهم: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ من خالقها ومن صاحبها ومن المتصرف في السموات ومن المستوى على العرش العظيم ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ أي ملكها لله ﷻ وحده لا شريك له فقل لهم حينئذٍ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ أي أفلا تتقون الله ﷻ فتجعلون بينكم وبين عذابه وقاية بطاعتكم له واجتنابكم ما نهاكم عنه وبتوحيدكم له ومراقبتكم له، وأراكم بما أخبركم به على ألسنة رسله عليهم السلام.

ثم قل لهم كذلك: ﴿مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي خزائن كل شيء، وملك كل شيء، وهو يجير من استجار به، يحفظه – يمنعه – ينصره – يؤيده – يُدبر له أمره ولا يستطيع أحدٌ أن يجير أحدًا أراده الله بسوء فإذا أراد الله بقوم سوء فلا رد له وما لهم من دونه من وال، وكما قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ﴾

[الأحزاب: ١٧].

فسيقول أهل الكفر إذا قلت لهم: ﴿مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ قل ﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ من أي وجهٍ تنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ومن أي وجه تكذبون عليه وتجلعون له شريكًا فإذا أقروا لك بكل ذلك أقروا بأن الأرض ومن فيها لله ﷻ، وبأن رب السموات السبع ورب العرش العظيم هو الله وبان الله عو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، فاعلم حينئذس أنهم كذبة في دعواهم لله الشرك، وفي قولهم الملائكة بنات الله وفي قولهم بأن الله ﷻ له ولد، بل أتيناهم بالحق الذي لا مرية فيه إنهم لكاذبون فيما ادعوا وفيما افتروا.

وأيقن يا رسول الله وليوقن كل مؤمن وأخبر الناس كذلك أن الله ﷻ ما اتخذ من ولدٍ فليس له ولد وما كان معه إلهق آخر فلو كان معه آلهة أخرى لانفرد كل إله بما يملكه ولحصل بغيٌ من بعضهم على بعض كلٌ يريد أن يتعالى على الآخر ويستولي على ملكه ونصيبه وتكون مكانته هي العليا، فسبحان الله الذي لا إله غيره ولا معبود سواه، سبحانه تنزه وتقدس عن الشريك والمثيل والولد وتنزه عما يصفه الواصفون المشركون وعما ينسبون إليه من اتخاذ الشريك والمثيل والولد والصاحبة عالم الغيب والشهادة، يعلم ما غاب عن الأعين وما ظهر لها، يعلم ما غاب في الصدور وما ظهر على الألسن، يعلم السر وأخفى فتعالى عن هذه الآلهة التي يعبدونها من دونه وتعالى وتقدس عن كل شريك اتخذ معه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في تأويل قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤﴾

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المكذّبين بالآخرة من قومك: لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق، إن كنتم تعلمون من مالكها؟ ثم أعلمه أنهم سيقرّون بأنها لله ملكا، دون سائر الأشياء غيره ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ يقول: فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون، فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا محمد: من ربّ السماوات السبع، وربّ العرش المحيط بذلك؟ سيقولون: ذلك كله لله، وهو ربه، فقل لهم: أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله؟

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: من بيده خزائن كلّ شيء؟

وقوله: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ من أراد ممن قصده بسوء، ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يقول: ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء، فيدفع عنه عذابه وعقابه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ من ذلك صفته، فإنهم يقولون: إن ملكوت كلّ شيء والقدرة على الأشياء كلها لله، فقل لهم يا محمد: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ يقولون: فمن أيّ وجه تصرفون عن التصديق بآيات الله، والإقرار بأخباره وأخبار رسوله، والإيمان بأن الله القادر على كل ما يشاء، وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم، مع علمكم

بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته؟!

وقد بيَّنت فيما مضى السِّحْر: أنه تخييل الشيء إلى الناظر أنه على خلاف ما هو به من هيئته، فذلك معنى قوله: ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ إنما معناه: فمن أيّ وجه يخيل إليكم الكذب حقا: والفاسد صحيحا، فتصرفون عن الإقرار بالحقّ الذي يدعوكم إليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

يقول: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله، من أن الملائكة بنات الله، وأن الآلهة والأصنام آلهة دون الله ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ ﴾ اليقين، وهو الدين الذي ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم، وذلك الإسلام، ولا يُعْبَد شيء سوى الله؛ لأنه لا إله غيره ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يقول: وإن المشركين لكاذبون فيما يضيفون إلى الله، وينْحَلُونه من الولد والشريك، وقوله: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ يقول تعالى ذكره: ما لله من ولد، ولا كان معه في القديم، ولا حين ابتدع الأشياء من تصلح عبادته، ولو كان معه في القديم أو عند خلقه الأشياء من تصلح عبادته ﴿ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ ﴾ يقول: إذن لاعتزل ﴿ كُلُّ إِلَٰهٍ ﴾ منهم ﴿ بِمَا خَلَقَ ﴾ من شيء، فانفرد به، ولتغالبوا، فلعلا بعضهم على بعض، وغلب القويّ منهم الضعيف؛ لأن القويّ لا يرضى أن يعلوه ضعيف، والضعيف لا يصلح أن يكون إلها، فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها، لمن عقل وتدبر. وقوله: ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ ﴾ جواب لمحذوف، وهو: لو كان معه إله، إذن لذهب كل إله بما خلق، اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه عنه. وقوله: ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره؛

تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له ولدا، وعما قالوه من أن له شريكا، أو أن معه في القِدم إلها يُعبد تبارك وتعالى.

وقوله: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ يقول تعالى ذكره: هو عالم ما غاب عن خلقه من الأشياء، فلم يَرَوْه ولم يشاهدوه، وما رأوه وشاهدوه، إنما هذا من الله خبر عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين: اتخذ الله ولدا وعبدوا من دونه آلهة، أنهم فيما يقولون ويفعلون مبطلون مخطئون، فإنهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم، بل عن جهل منهم به، وإن العالم بقديم الأمور وبحديثها، وشاهدها وغائبها عنهم الله الذي لا يخفى عليه شيء، فخبره هو الحق دون خبرهم وقال: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ فرفع على الابتداء، بمعنى: هو عالم الغيب، ولذلك دخلت الفاء في قوله: ﴿ فَتَعَٰلَىٰ ﴾ كما يقال: مررت بأخيك المحسن فأحسنت إليه، فترفع المحسن إذا جعلت فأحسنت إليه بالفاء؛ لأن معنى الكلام إذا كان كذلك: مررت بأخيك هو المحسن، فأحسنت إليه. ولو جعل الكلام بالواو فقيل: وأحسنت إليه، لم يكن وجه الكلام في المحسن إلا الخفض على النعت للأخ، ولذلك لو جاء ﴿ فَتَعَٰلَىٰ ﴾ بالواو كان وجه الكلام في ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ الخفض على الاتباع لإعراب اسم الله، وكان يكون معنى الكلام: سبحان الله عالم الغيب والشهادة وتعالى! فيكون قوله: ﴿ وَتَعَالَى ﴾ حينئذ معطوفا على سبحان الله ، وقد يجوز الخفض مع الفاء؛ لأن العرب قد تبدأ الكلام بالفاء، كابتدائها بالواو، وبالخفض كأن يقرأ: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ في هذا الموضع أبو عمرو، وعلى خلافه في ذلك قراءة الأمصار.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع لمعنيين: أحدهما: إجماع الحجة من القراء عليه، والثاني: صحته في العربية.

وقوله: ﴿ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين، ووصفهم إياه بما يصفون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقرر تعالى وحدانيته، واستقلاله بالخلق والتصرف والملك، ليرشد إلى أنه الذي لا إله إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له؛ ولهذا قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين العابدين معه غيره، المعترفين له بالربوبية، وأنه لا شريك له فيها، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية، فعبدوا غيره معه، مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئًا، ولا يملكون شيئًا، ولا يستبدّون بشيء، بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣] ، فقال: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ أي: من مالكها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمرات، وسائر صنوف المخلوقات ﴿ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ ﴾ أي: فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له، فإذا كان ذلك ﴿ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [أي: لا تذكرون] أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره.

﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ أي: من هو خالق العالم العُلْوي بما فيه من الكواكب النيّرات، والملائكة الخاضعين له في سائر الأقطار منها والجهات، ومن هو رب العرش العظيم، يعني: الذي هو سقف المخلوقات.

ثم قال: ﴿ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ يعني: الكبير. وقال في آخر السورة: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ أي: الحسن البهي. فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع والعلو، والحسن الباهر؛ ولهذا قال من قال: إنه من ياقوتة حمراء.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ أي: إذا كنتم تعترفون بأنه رب السموات ورب العرش العظيم، أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه، في عبادتكم معه غيره وإشراككم به؟

﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: بيده الملك، ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ ﴾ [هود: ٥٦] ، أي: متصرف فيها. وكان رسول الله ﷺ يقول: «**لا والذي نفسي بيده**»، وكان إذا اجتهد في اليمين قال: «**لا ومقلب القلوب**»، فهو سبحانه الخالق المالك المتصرف، ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحدًا، لا يُخْفَر في جواره، وليس لمن دونه أن يجير عليه، لئلا يفتات عليه، ولهذا قال الله: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ أي: وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه، الذي له الخلق والأمر، ولا معقب لحكمه، الذي لا يمانع ولا يخالف، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وقال الله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ، أي: لا يسئل عما يفعل؛ لعظمته وكبريائه، وقهره وغلبته، وعزته وحكمته، والخلق كلهم يُسألون عن أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

وقوله: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ ﴾ أي: سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه، هو الله تعالى، وحده لا شريك له ﴿ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ أي: فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك.

ثم قال تعالى: ﴿ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ ، وهو الإعلام بأنه لا إله إلا الله، وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾أي: في عبادتهم

مع الله غيره، ولا دليل لهم على ذلك، كما قال في آخر السورة: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[المؤمنون: ١١٧] ، فالمشركون لا يفعلون ذلك عن دليل قادهم إلى ما هم فيه من الإفك والضلال، وإنما يفعلون ذلك اتباعا لآبائهم وأسلافهم الحيارى الجهال، كما قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك، فقال: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ أي: لو قُدِّر تعدد الآلهة، لانفرد كل منهم بما يخلق، فما كان ينتظم الوجود. والمشاهد أن الوجود منتظم متسق، كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض، في غاية الكمال، ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ ۖ ﴾ [الملك: ٣] ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه، فيعلو بعضهم على بعض.

﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ أي: عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علوا كبيرا.

﴿ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾ أي: يعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه، ﴿ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ أي: تقدس وتنزه وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ قُل ﴾ يا محمد جوابا لهم عما قالوه ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ يخبر بربوبيته ووحدانيته وملكه الذي لا يزول وقدرته التي لا تحول ف ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ ﴾ ولا بد لهم من ذلك فـ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ أي إفلا تتعظون وتتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو على إحياء الموتى بعد موتهم قادر ﴿ قُلْ

مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يريد أفلا تخافون حيث تجعلون لي ما تكرهون زعمتم أن الملائكة بناتي وكرهتم لأنفسكم البنات ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ يريد السموات وما فوقها وما بينهن والأرضين وما تحتهن وما بينهن وما لا يعلمه أحد إلا هو وقال مجاهد: ﴿ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ خزائن كل شيء الضحاك: ملك كل شيء والملكوت من صفات المبالغة كالجبروت والرهبوت وقد مضى في (الأنعام) ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ ﴾ أي يمنع ولا يمنع منه وقيل: ﴿ يُجِيرُ ﴾ يؤمن من شاء ﴿ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ ﴾ أي لا يؤمن من أخافه ثم قيل: هذا في الدنيا أي من أراد الله إهلاكه وخوفه لم يمنعه منه مانع ومن أراد نصره وأمنه لم يدفعه من نصره وأمنه دافع وقيل: هذا في الآخرة أي لا يمنعه من مستحق الثواب مانع ولا يدفعه عن مستوجب العذاب دافع ﴿ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ أي فكيف تخدعون وتصرفون عن طاعته وتوحيده أو كيف يخيل إليكم أن تشركوا به ما لا يضر ولا ينفع ! والسحر هو التخييل.

قوله تعالى: ﴿ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ ﴾ أي بالقول الصدق لا ما تقوله الكفار من إثبات الشريك ونفي البعث ﴿ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ أن الملائكة بنات الله فقال الله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ ﴾ ﴿ مِن ﴾ صلة ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ ﴾ ﴿ مِنۡ ﴾ زائدة والتقدير: ما اتخذ الله ولدا كما زعمتم ولا كان معه إله فيما خلق وفي الكلام حذف والمعنى: لو كانت معه آلهة لانفرد كل إله بخلقه ﴿ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ ﴾ أي ولغالب وطلب القوي الضعيف كالعادة بين الملوك وكان الضعيف المغلوب لا يستحق الإلهية وهذا الذي يدل على نفي الشريك يدل على نفي الولد أيضا لأن الولد ينازع الأب في الملك منازعة الشريك ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا

يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ تنزيها عن الولد والشريك ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ تنزيه وتقديس.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم قل يا رسول الله داعيًا الله راجيًا إياه مستعيذًا به، يارب إذا حلَّ بهؤلاء القوم المكذبين عذاب فلا تجعلني من المعذبين معهم، بل مسلمين يا رب واحفظني ولا تؤاخذني بجريرة هؤلاء الظالمين، ولا تحشرني معهم ولا تنزلني منزلهم.

ثم يُخبر الله ﷻ نبيه ﷺ ويعلمه بأنه قادر على تعجيل إنزال العذاب على هؤلاء المكذبين فيرى النبي ﷺ عذبهم وهو حيٌّ قبل أن يموت فيقول تعالى: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: ربّ إنْ تُرِيَنّي في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك، فلا تهلكني بما تهلكهم به، ونجِّني من عذابك وسخطك، فلا تجعلني في القوم المشركين، ولكن اجعلني ممن رضيت عنه من أوليائك. وقوله: ﴿ فَلَا تَجۡعَلۡنِي ﴾ جواب لقوله: ﴿ إِمَّا تُرِيَنِّي ﴾ اعترض بينهما بالنداء، ولو لم يكن قبله جزاء لم يجز ذلك في الكلام، لا يقال: يا زيد فقم، ولا يا رب فاغفر؛ لأن النداء مستأنف، وكذلك الأمر بعده مستأنف، لا تدخله الفاء والواو، إلا أن يكون جوابا لكلام قبله.

وقوله: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: وإنا يا محمد على أن نريك في هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم،

لقادرون، فلا يحْزُنَنَّك تكذيبهم إياك بما نعدهم به، وإنما نؤخر ذلك ليبلغ الكتاب أجله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا نبيه محمدًا ﷺ أن يدعو هذا الدعاء عند حلول النقم: ﴿رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ۝٩٣﴾ أي: إن عاقبتهم -وإني شاهدُ ذلك- فلا تجعلني فيهم، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي -وصححه-: «وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون».

وقوله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ۝٩٥﴾ أي: لو شئنا لأريناك ما نحل بهم من النقم والبلاء والمحن.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

علمه ما يدع به أي قل رب أي يا رب أريتني ما يوعدون من العذاب ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٩٤﴾ أي في نزول العذاب بهم بل أخرجني منهم وقيل: النداء معترض و ﴿ما﴾ في ﴿إما﴾ زائدة وقيل: إن أصل إما إن ما فـ﴿إن﴾ شرط و ﴿ما﴾ شرط فجمع بين الشرطين توكيدا والجواب ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٩٤﴾ أي إذا أردت بهم عقوبة فأخرجني منهم.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان)

قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ۝٩٣ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٩٤﴾.

أمر جلا وعلا نبيه في هاتين الآيتين الكريمتين أن يقول: رب إما تريني ما يوعدون: أي أن ترني ما توعدهم من العذاب، بأن تنزله بهم، وأنا حاضر شاهد أرى نزوله بهم ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٩٤﴾ أي لا تجعلني في

جملة المعذبين الظالمين، بل أخرجني منهم، ونجني من عذابهم، وقد بين تعالى في مواضع أخر: أنه لا ينزل بهم العذاب، وهو فيهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ ﴾ [الأنفال: ٣٣] الآية، وبين هنا أنه قادر على أن يره العذاب، الذي وعهدهم به في قوله: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٥] وبين في سورة الزخرف، أنه إن ذهب به قبل تعذيبهم، فإنه معذب لهم ومنتقم منهم لا محالة، وأنه إن عذبهم، وهو حاضر فهو مقتدر عليهم. وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٤١-٤٢].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم إرشادٌ من الله ﷻ لرسوله ﷺ وكذا إرشاد عام لأهل الإيمان للتعامل مع شياطين الإنس وشياطين الجن، هنا وفي سورة الأعراف وفي سورة المؤمنون يتكرر مثل هذا الإرشاد وحاصله أننا نتعامل مع شياطين الإنس ابتداءًا بدفع السيئة بالحسنة، فإذا أساءوا قابلنا الإساءة بالإحسان، العفو والصفح، وقابلنا الكلمة السيئة بالكلمة الطيبة، كما قال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ ﴾.

وكما قال: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤].

وكما قال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

أي العدو الشيطان فلا مهادنة فإنه لا تجدي معه المداهنة ولا المدارة ولا

تأليف ولكن تجدي معه بإذن الله التعوذات بالله وحسن الالتجاء إلى الله فمن ثم شرع لنا التعوذ بالله منه.

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩-٢٠٠].

هذا ومن العلماء من ذهب إلى هذه الآيات مبسوطة بآية السيف وذهب آخرون إلى عدم النسخ وقالوا هذه لها مقامات تتنزل فيها، والنسخ لا يُصار إليه إلا عند عدم إمكان الجمع، والجمع هل هنا حكمة والله أعلم.

وأعود فأقول فقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

أي قابل جهالتهم ومقالاتهم السيئة بالطريقة التي هي حسنة وبالكلمة الطيبة فقابل الإساءة بإحسان والسيئة بصفح وغفران، فالله ﷻ أعلم بما يصفونك به ويصفون به كتابه ﷻ ويفون به ربهم ﷻ وقل متعوذًا بالله ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾ ألجأ إليك وأستجير بك ﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ غمزهم وطعنهم ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ وألجأ إليك يا رب لتصرفهم عني فلا يحضرون مجلسي ولا يشوشون عليَّ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه: ادفع يا محمد بالخلة التي هي أحسن، وذلك الإغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على أذاهم، وذلك أمره إياه قبل أمره بحربهم، وعنى بالسيئة: أذى المشركين إياه وتكذيبهم له فيما أتاهم

به من عند الله، يقول له تعالى ذكره: اصبر على ما تلقى منهم في ذات الله.

وقوله: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: نحن أعلم بما يصفون الله به، وينحَلُونه من الأكاذيب والفِرية عليه، وبما يقولون فيك من السوء، ونحن مجازوهم على جميع ذلك، فلا يحزنك ما تسمع منهم من قبيح القول.

وقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد: ربّ أستجير بك من خنق الشياطين وهمزاتها، والهَمْزُ: هو الغَمْز، ومن ذلك قيل للهمز في الكلام: هَمْزة، والهَمَزَاتُ جمع همزة.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ يقول: وقل أستجير بك أن يحضروني في أموري.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال مرشدًا له إلى التِّرياق النافع في مخالطة الناس، وهو الإحسان إلى من يسيء، ليستجلب خاطره، فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة، فقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾، وهذا كما قال في الآية الأخرى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]: أي ما يلهم هذه الوصية أو الخصلة أو الصفة ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ أي: على أذى الناس، فعاملوهم بالجميل مع إسدائهم إليهم القبيح، ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾: أمره أن يستعيذ من الشياطين، لأنهم لا تنفع معهم الحيل، ولا ينقادون بالمعروف.

وقد قدمنا عند الاستعاذة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «**أعوذ بالله السميع**

العليم من الشيطان الرجيم، من هَمْزه ونَفْخه ونَفْثه».

وقوله: ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ أي: في شيء من أمري؛ ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور -وذلك مطردة للشياطين -عند الأكل والجماع والذبح، وغير ذلك من الأمور؛ ولهذا روى أبو داود أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهَرَم، وأعوذ بك من الهَدْم ومن الغرق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت**». وأورد ما أقر به الإمام أحمد من طرق أخبرنا محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم، من الفزع: «**بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**».

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ أمر بالصفح ومكارم الأخلاق فما كان منها لهذه الأمة فيما بينهم فهو محكم بينهم فهو محكم باق في الأمة أبدا وما كان فيها من موادعة الكفار وترك التعرض لهم والصفع عن أمورهم فمنسوخ بالقتال ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ أي من الشرك والتكذيب وهذا يقتضي أنها آية موادعة والله تعالى أعلم

وقوله قوله تعالى: ﴿ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ الهمزات هي جمع همزة والهمز في اللغة النخس والدفع يقال: همزه ولمزه ونخسه دفعه قال الليث الهمز كلام من وراء القفا واللمز مواجهة والشيطان يوسوس فيهمس في وسواسه في صدر ابن آدم وهو قوله: ﴿ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ أي نزعات الشياطين الشاغلة عن ذكر الله تعالى.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان)

والظاهر في قوله: ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ أن المعنى: أعوذ بك أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائنًا ما كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل: ٩٨] أو عند حضور الموت أو غير ذلك من جميع الشؤون في جميع الأوقات. والعلم عند الله تعالى.

❋ ❋ ❋

س: هل الشياطين تحضر بعض المجالس وتتخلف عن مجالس أُخر لا تحضرها.

ج: نعم الشياطين قد تحضر بعض المجالس والأماكن والأشخاص، وقد تتخلف عن الحضور، فمنها شياطين نشطة ومنها شياطين خاملة ودلَّ على ذلك من النصوص ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾.

ومجيء الشيطان بغلامٍ كأنه يُدفع وبجارية كأنها تُدفع كي يأكلا الطعام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كي يستحل بها الطعام ففي الحديث الذي أخرجه مسلم

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم – طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم – فَيَضَعَ يَدَهُ وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِى الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم – بِيَدِهَا ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِىٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم – « **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لاَ يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا**

فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِى يَدِى مَعَ يَدِهَا ».

وكذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه في فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة**».

وفي رواية عند مسلم أيضًا: عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - « **إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِىءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ مَا صَنَعْتَ شَيْئًا قَالَ ثُمَّ يَجِىءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ - قَالَ - فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ نِعْمَ أَنْتَ** ». قَالَ الأَعْمَشُ أُرَاهُ قَالَ « **فَيَلْتَزِمُهُ** ».

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم إن هؤلاء المشركين المكذبين يستمرون في تكذيبهم وعنادهم حتى إذا عاين أحدهم الموت بمقدماته، وحضرته ملائكة العذاب قال رب ارجعون، وفي راية قال: ﴿ٱرۡجِعُونِ﴾ بالجمع أقوال:

أحدها: أنه قال: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ معظمًا الله عز وجل.

الثاني: أنه نادى ربه أولًا بقوله: ﴿رَبِّ﴾ ثم لما رأى الملائكة قال: ﴿ٱرۡجِعُونِ﴾ فتحول خطابه.

الثالث: أن معنى ﴿ٱرۡجِعُونِ﴾ ارجعوني ارجعوني ارجعونني هذا، وطل بالرجوع إلى الدنيا لا لمالٍ ولا لأولاد ولا لمنصب ولا لجاه ولا سلطان إنما لعلي أعمل صالحًا فيما تركت، لعلي أُسلم لعلِّي أصلي لعلي أصوم لعلي

أعمال البر كلها تلك الأعمال التي قصرت فيها في دنياي، فيجاب قائلًا ﴿كَلَّآۚ﴾ وهي كلمة ردع ونفي.

أما قوله ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ ففيه وجهان:

أحدهما: إنها مجرد كلمة لا تتعدى حجمها كونها كلمة بلا عمل، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٢٨﴾ [الأنعام: ٢٨].

الثاني: إنها كلمة لابد وأن يأتي عله وقت يقولها.

أما قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٠٠﴾ أي ومن أمامهم حاجز وحجاب بينهم وبين الحياة مرة ثانية يستمر هذا الحاجز والحجاب إلى يوم البعث فلن يعود إلى الحياة إلا يوم القيامة والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: حتى إذا جاء أحدَ هؤلاء المشركين الموتُ، وعاين نزول أمر الله به، قال:- لعظيم ما يعاين مما يَقْدَم عليه من عذاب الله تندّما على ما فات، وتلهُّفا على ما فرط فيه قبل ذلك، من طاعة الله ومسألته للإقالة-: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩﴾ إلى الدنيا فردّوني إليها، ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحًا﴾ يقول: كي أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعته، وفرّطت فيه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩﴾ قال: هذه في الحياة الدنيا، ألا تراه يقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ قال: حين تنقطع الدنيا، ويعاين الآخرة، قبل أن يذوق الموت.

قال الطبري:

قوله: ﴿كَلَّآۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ليس الأمر على ما قال هذا المشرك، لن يُرْجع إلى الدنيا، ولن يعاد إليها ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ يقول: هذه الكلمة،

وهو قوله: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩﴾ كلمة هو قائلها يقول: هذا المشرك هو قائلها.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ لا بد له أن يقولها يقول ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ﴾ يقول: ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع، يعني: إلى يوم يبعثون من قبورهم، وذلك يوم القيامة، والبرزخ والحاجز والمُهْلة متقاربات في المعنى.

وأورد عن عدد من أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٠٠﴾ حاصله أن البرزخ بقية الحياة الدنيا وحجاب بين الميت وبين الرجوع إلى الدنيا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: هاهنا: ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾: كلا حرف ردع وزجر، أي: لا نجيبه إلى ما طلب ولا نقبل منه.

وقوله: ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أي لا بد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم.

ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله: ﴿كَلَّآۚ﴾، أي: لأنها كلمة، أي: سؤاله الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه، وقول لا عمل معه، ولو رد لما عمل صالحا، ولكان يكذب في مقالته هذه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٢٨﴾ [الأنعام: ٢٨].

قال ابن كثير:

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾: قال: كان العلاء بن زياد يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت، فاستقال ربه فأقاله، فليعمل بطاعة الله عز وجل.

وقال قتادة: والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها، ولا قوة إلا بالله. وعن محمد بن كعب القرظي نحوه.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي قوله: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ﴾: تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ، كما قال: ﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾ [الجاثية: ١٠] وقال ﴿ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ١٧ ﴾ [إبراهيم: ١٧].

وقوله: ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٠٠ ﴾ أي: يستمر به العذاب إلى يوم البعث.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فأما قوله: ﴿ٱرْجِعُونِ﴾ وهو مخاطب ربه عز وجل ولم يقل: «ارجعني» جاء على تعظيم الذكر للمخاطب.

وقيل: استغاثوا بالله عز وجل أولا، فقال قائلهم: رب، ثم رجع إلى مخاطبة الملائكة فقال: ارجعون إلى الدنيا، قاله ابن جريج.

وقيل: إن معنى ﴿ٱرْجِعُونِ﴾ على جهة التكرير، أي ارجعني ارجعني ارجعني.

❊ ❊ ❊

س: المحتضر (وخاصة الكافر) يتمنى الموت في عدة مواطن عند الاحتضار، ويوم القيامة وعند لقاء الله وإذا دخل النار، وفي عدة مواطن، وضح ذلك بأدلته:

ج: أما تمنيهم الرجوع إلى الدنيا عند الاحتضار فمن أدلته ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا

تَرَكْتُ ...﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

وأما تمنيهم الرجوع إلى الدنيا يوم البعث والنشور، فمن أدلته ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

وأما تمنيهم الرجوع عند كلام الله معهم فدليله:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [السجدة: ١٢].

وأما تمنيهم الرجوع إلى الدنيا عند معاينة النار فدليله:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٧].

وأما تمنيهم الموت وهم في النار فمنه قولهم: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ ﴾ [فاطر: ٣٧].

قلت: وإلى مثل ما ذُكر أشار الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

[المؤمنون: ١٠١-١١١].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلصُّورِ - فَلَآ أَنسَابَ - ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ - ٱلْمُفْلِحُونَ - تَلْفَحُ - كَٰلِحُونَ - غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا - ضَآلِّينَ - ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا - سِخْرِيًّا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلصُّورِ﴾	قرن يُنفخ فيه
﴿فَلَآ أَنسَابَ﴾	فلا قرابات بينهم تنفعهم ولا يُنادى قريب قريبه
﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾	رجحت كفة حسناته
﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	الفائزون بالمطلوب الناجون من المرهوب
﴿تَلْفَحُ﴾	تسفع
﴿كَٰلِحُونَ﴾	كُشف أسنانهم بعد أن أُحرقت وجوههم وتقلصت شفاههم عن أسنانهم وقيل عابسون
﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾	رجعنا إلى ما كتبت علينا من الشقاوة فعملنا بعمل أهل الشقاوة- غلبت علينا أعمال أهل الشقاوة من الشهوات والملذات والكفر والضلال
﴿ضَآلِّينَ﴾	منحرفين عن طريق الحق والصواب
﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾	امكثوا فيها

﴿سِخۡرِيًّا﴾	مجالًا للاستهزاء والضحك والانتقاص أما سُخريا بالضم فمعناها الاستعباد والتسخير في الأعمال

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾.

ج: فإذا نفخ الملك الموكل بالصور في الصور، الملك هو إسرافيل عليه السلام، وقد اختلف في هذه النفخة أهي الأولى أم الثانية، والظاهر والله أعلم أنها النفخة الثانية عند قيامهم من القبور، إذ النفخة الأولى يعقبها صعق، أما النفخة الثانية هي التي يصحبها قيامهم وهم ينظرون، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر: ٦٨].

فالمعنى فإذا نُفخ في الصور فقاموا للحساب، للثواب أو العقاب فعند ذلك لا ينفع ذا نسب نسبه ولا يسأل بعضهم بعضا بل كل منشغلٌ بم هو فيه كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

وعند ذلك توضع الموازين لوزن الأعمال والأقوال فمن ثقلت كفة حسناته ورجحت على كفة سيئاته فأولئك هم الفائزون الذي فازوا بالمطلوب الذي منه رضوان الله عليهم، وجنته التي أعدها لهم ومن خفت كفة حسناته، وثقلت عليها ورجحت كفة السيئات فأولئك الذين خسروا أنفسهم غبنوها وضيعوها من قبل وكانوا قد باعوها بثمن بخس، بالشهوات والشبهات

والكفر والضلال، هؤلاء الذي ضاعوا وخسروا وخابوا فمأواهم جهنم والعياذ بالله خالدين فيها تسفع النارُ وجوههم وهم في النار، وقد احترقت وجوههم وتقلصت شفاههم عن أسنانهم فرؤيت أسنانهم، وقد تقلصت الشفاة بسبب احتراق الوجوه، فهذا هو الكالح، وقيل إن الكالح العابس.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ موازين حسناته، وخفت موازين سيئاته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ يعني: الخالدون في جنات النعيم ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ يقول ومن خفَّت موازين حسناته فرجَحَت بها موازين سيئاته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ يقول: غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ يقول: هم في نار جهنم.

وقوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ يقول: تَسْفَع وُجوهَهم النارُ.

﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ والكلوح: أن تتقلص الشفتان عن الأسنان، حتى تبدو الأسنان، كما قال الأعشى:

وَلَـهُ المُقْـدَمُ لا مِثْـلَ لَـهُ ساعة الشِّدْقِ عَنِ النَّابِ كَلَحْ

فتأويل الكلام: يَسْفَع وجوههم لهبُ النار فتحْرقها، وهم فيها متقلصو الشفاه عن الأسنان؛ من إحراق النار وجوههم.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح عن أبي الأحوص عن عبد الله، في قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ قال: ألم تر إلى الرأس المشيط قد بدت أسنانه، وقلصت شفتاه.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ قال ألم تر إلى

الغنم إذا مست النار وجوهها كيف هي؟

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى أنه إذا نفخ في الصور نفخة النشور، وقام الناس من القبور، ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا تنفع الأنساب يومئذ، ولا يرثي والد لولده، ولا يلوي عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠، ١١] أي: لا يسأل القريب قريبه وهو يبصره، ولو كان عليه من الأوزار ما قد أثقل ظهره، وهو كان أعز الناس عليه -كان- في الدنيا، ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ أي: من رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة، قاله ابن عباس.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة.

وقال ابن عباس: أولئك الذين فازوا بما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: ثقلت سيئاته على حسناته، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: خابوا وهلكوا، وباؤوا بالصفقة الخاسرة.

﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ أي: ماكثون فيها، دائمون مقيمون لا ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٥٠] وقال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنبياء: ٣٩].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿أضواء البيان)

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾.

في هـذه الآيـة الكريمـة ، سـؤالان معروفـان يحتاجـان إلـى جـواب مبـين للمقصود مزيل للإشكال.

السؤال الأول: أنه تعالى ذكر في هذه الآية: أنه إذا نفخ في الصـور ، والظـاهر أنها النفخة الثانية ، أنهم لا أنساب بينهم يومئذ ، فيقـال: مـا وجـه نفـي الأنسـاب بينهم ، مع أنها باقية كما دل عليـه قولـه تعـالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [عبس: ٣٣-٣٦] ففـي هـذه الآيـة ثبـوت الأنساب بينهم.

السؤال الثاني: أنه قال: ﴿ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ مع أنـه ذكـر في آيـات أخـر أنهـم في الآخـرة يتسـاءلون ، كقولـه في سـورة الطـور ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الطـور: ٢٥] وقولـه في الصـافات ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الصـافات: ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات.

وقد ذكرنا الجواب عن هـذين السـؤالين في كتابنـا: دفـع إيهـام الاضـطراب عن آيات الكتاب بما حاصله:

إن الجواب عن السؤال الأول: هو أن المراد بنفي الأنساب انقطاع آثارهـا ، التي كانت مترتبة عليها في دار الدنيا ، من التفـاخر بالآبـاء ، والنفـع والعواطـف والصلات. فكل ذلك ينقطع يوم القيامة ، ويكـون الإنسـان لا يهمـه إلا نفسـه ، وليس المراد نفي حقيقة الأنسـاب ، مـن أصـلها بـدليل قولـه: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٥] الآية.

وإن الجواب عن السؤال الثاني من ثلاثة أوجه:

الأول: هو قول من قال: إن نفي السؤال بعد النفخة الأولى، وقبل الثانية، وإثباته بعدهما معاً. وهذا الجواب فيما يظهر لا يخلو من نظر.

الثاني: أن نفي السؤال عند اشتغالهم بالصعق والمحاسبة، والجواز على الصراط وإثباته فيما عدا ذلك وهو عن السدي، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

الثالث: أن السؤال المنفي سؤال خاص، وهو سؤال بعضهم العفو من بعض، فيما بينهم من الحقوق، لقنوطهم من الإعطاء، ولو كان المسؤول أباً أو ابناً أو أماً أو زوجة، ذكر هذه الأوجه الثلاثة صاحب الإتقان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾.

ج: هذا والله أعلم توبيخٌ من الله ﷻ لأهل النار، يقول لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾، ألم أرسل إليكم رسلًا وأنزل إليكم كتابًا فقلت الرسل عليكم كتب وآياتي وأقامت عليكم الحجج فكذبتم بكل ذلك؟!!

فعندها ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي يا ربنا كُتبت علينا الشقاوة فصرنا إليها كتبت علينا الشقاوة في اللوح المحفوظ، وفي بطون الأمهات فعملنا بعلم أهل الشقاوة.

وقيل غلبت علينا الملذات والشهوات والأهواء فعملنا فيها بمعصيتك فصرنا بذلك على الشقاوة وقوله وكنا قومًا ضالين، أي وكنا قومًا في دنيانا ضآلين عن طريق الحق وعن سبيل الرشاد وقد تنكبنا عنه بعد مجيء رسلك إلينا فيا ربنا أخرجنا من هذه النار فإن عدنا إلى الأعمال السيئة التي علمناها فإنا حينئذٍ أهل ظلم فافعل بنا ما تريد.

قال الله ﷻ: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ امكثوا فيها أبدًا بدين ولا تكلمون، أمكثوا فيها مطرودين من رحمتي مُبعدين عن جنتي ماكثين في عذابي ولا تكلموني في شيء، ولا تسألوني رحمتكم ولا تسألوني إخراجكم من النار، فقد كان فريق من عبادي، وهم أهل الإيمان يقولون في الدنيا ربنا آمنا بك وصدقنا رسلك

وأقررنا بما جاءونا به وآمن بكل ما أمرتنا بالإيمان به، وكافرًا يسألونني رحمتي ومغفرتي قائلين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين، أنت يا ربنا خر من رحم فكنتم تسخرون منهم إذا قالوا ذلك وتهزأون بهم وتمادت بكم السخرية منهم والاستهزاء بهم فانشغلتم بذلك عن ذكري، وكان شأنكم الضحك منهم فهاهم الآن أعمني أهل الإيمان قد جُوزوا أفضل الجزاء وأحسن الجزاء إنني أنا الذي جازيتهم اليوم على إيمانهم وعلى صبرهم على أذاكم، وعلى ثباتهم على الإيمان، فكانوا هم الفائزين هذا اليوم، قد نالوا مطلوبهم ونجوا من مرهوبهم، وسلم ولله الحمد لهم أمرهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يقال لهم ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعني آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥﴾ وترك ذكر يقال؛ لدلالة الكلام عليه ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: ﴿غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾ بكسر الشين، وبغير ألف، وقرأته عامة قرّاء أهل الكوفة: «شَقاوَتُنا» بفتح الشين والألف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان، وقرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وتأويل الكلام: قالوا: ربنا غلبت علينا ما سبق لنا في سابق علمك وخطّ لنا في أمّ الكتاب.

وقوله: ﴿وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾ يقول: كنا قومًا ضللنا عن سبيل الرشاد،

وقصد الحق.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ ﴾.

يقول تعالى ذكره، مخبرا عن قيل الذين خفَّت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة في جهنم: ربنا أخرجنا من النار، فإن عدنا لما تكره منا من عمل، فإنا ظالمون.

وقوله: ﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الربّ لهم جلّ ثناؤه مجيبا ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا ﴾ أي: اقعدوا في النار، يقال منه: خَسَأْتُ فلانا أخْسَؤُه خَسْأً وخُسُوءا، وخَسيء هو يخسَأ، وما كان خاسئا، ولقد خَسِيء، ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ فعند ذلك أيس المساكين من الفرج، ولقد كانوا طامعين فيه.

وأورد بسند صحيح عن أبي الزعراء، عن عبد الله، في قصة ذكرها في الشفاعة، قال: فإذا أراد الله ألا يُخْرج منها، يعني من النار أحدا، غير وجوههم وألوانها، فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيهم، فيقول: يا ربّ، فيقول: من عرف أحدا فليخرجه؛ قال: فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحدا، فيقول: يا فلان يا فلان، فيقول: ما أعرفك. فعند ذلك يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ ﴾ فإذا قالوا ذلك؛ انطبقت عليهم جهنم فلا يخرج منها بشر.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّهُۥ﴾ وهذه الهاء في قوله "إنه" هي الهاء التي يسميها أهل العربية المجهولة، وقد بينت معناها فيما مضى قبلُ. ومعنى دخولها في

الكلام، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ يقول: كانت جماعة من عبادي، وهم أهل الإيمان بالله، يقولون في الدنيا: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ بك وبرسلك، وما جاءوا به من عندك ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا﴾ وأنت خير من رحم أهل البلاء، فلا تعذبنا بعذابك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

يقول تعالى ذكره: فاتخذتم أيها القائلون لربكم ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ في الدنيا القائلين فيها: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ سخريا. والهاء والميم في قوله: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ من ذكر الفريق.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿سِخْرِيًّا﴾ فقرأه بعض قرّاء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ بكسر السين، ويتأوّلون في كسرها أن معنى ذلك الهزء، ويقولون: إنها إذا ضُمت فمعنى الكلمة: السُّخْرة والاستعباد. فمعنى الكلام على مذهب هؤلاء: فاتخذتم أهل الإيمان بي في الدنيا هُزُؤًا ولعبا، تهزءون بهم، حتى أنسوكم ذكري. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا﴾ بضم السين، وقالوا: معنى الكلمة في الضمّ والكسر واحد. وحكى بعضهم عن العرب سماعا لِجِّيّ ولُجِّي، ودِرِيّ، ودُرِيّ، منسوب إلى الدرّ، وكذلك كِرسيّ وكُرسيّ؛ وقالوا ذلك من قيلهم كذلك، نظير قولهم في جمع العصا: العِصِيّ بكسر العين، والعُصِيّ بضمها؛ قالوا: وإنما اخترنا الضم في السِّخري؛ لأنه أفصح اللغتين.

والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان

بمعنى واحد، قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب، وليس يُعْرف من فرق بين معنى ذلك إذا كسرت السين وإذا ضمت؛ لما ذكرت من الرواية عمن سمع من العرب ما حَكَيت عنه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ قال: هما مختلفتان: سِخريا، وسُخريا، يقول الله: ﴿وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ﴾ [الزخرف: ٣٢] قال: هذا سِخريّا: يُسَخِّرونهم، والآخرون: الذين يستهزئون بهم هم سُخريًّا، فتلك سِخريًّا يُسَخرونهم عندك، فسخَّرك رفعك فوقه، والآخرون: استهزءوا بأهل الإسلام هي: سُخريّا يَسْخَرون منهم. فهما مختلفتان. وقرأ قول الله: ﴿W Z W [W \ W] W ^ W _ W ` W a W b W c W d W e W f W g W h W i W j W k l﴾ [هود: ٣٨] وقال: يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح، اتخذوهم سُخريًّا: اتخذوهم هُزُؤًا، لم يزالوا يستهزئون بهم.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ يقول: لم يزل استهزاؤكم بهم، أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكري، فألْهاكم عنه ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠﴾.

في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ قال: أنسى هؤلاء الله استهزاؤُهم بهم، وضحكهم بهم، وقرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩﴾ [المطففين: ٢٩] حتى بلغ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢﴾ [المطففين: ٣٢].

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ يقول تعالى ذكره: إني أيُّها المشركون بالله المخلَّدون في النار، جَزَيْت الذين اتخذتموهم في الدنيا سخريا من أهل الإيمان بي، وكنتم منهم تضحكون اليوم، بما صبروا على ما كانوا يلقَون بينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهم في الدنيا ﴿أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١﴾.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فتأويل الكلام إذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا: إني جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا في الدنيا على أذاكم بها في أنهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم والكرامة الباقية أبدا؛ بما عملوا من صالحات الأعمال في الدنيا، ولقوا في طلب رضاي من المكاره فيها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا تقريع من الله تعالى لأهل النار، وتوبيخ لهم على ما ارتكبوا من الكفر والمآثم والمحارم والعظائم، التي أوبقتهم في ذلك، فقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ أي: قد أرسلت إليكم الرسل، وأنزلت الكتب، وأزلت شُبَهكم، ولم يبق لكم حجة تدلون بها كما قال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال: ﴿ Ô W Ó W Ò W Ñ W Ð W Ü W Ï ﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ٨-١١]، ولهذا قالوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: قد قامت علينا الحجة، ولكن كنا أشقى من أن ننقاد لها ونتبعها، فَضَلَلْنَا عنها ولم نُرْزَقْها.

ثم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ أي: رُدَّنا إلى الدار الدنيا، فإن عدنا إلى ما سلف منا، فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة، كما قالوا: ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١١، ١٢] أي: لا سبيل إلى الخروج؛ لأنكم كنتم تشركون بالله إذا وحده المؤمنون.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار ، يقول: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا ﴾ أي: امكثوا فيها صاغرين مُهانين أذلاء. ﴿ وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ أي: لا تعودوا إلى سؤالكم هذا، فإنه لا جواب لكم عندي.

قال العَوْفِي، عن ابن عباس: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ قال: هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه.

وأورد بسندٍ صحيح عن عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو قال: إن أهل جهنم يدعون مالكا، فلا يجيبهم أربعين عاما، ثم يردّ عليهم: إنكم ماكثون. قال: هانت دعوتهم -والله- على مالك ورب مالك. ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ قال: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ قال: والله ما نَبَس القوم بعدها بكلمة واحدة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم. قال: فشبهت أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق.

وبسندٍ صحيح عن أبي الزَّعْرَاء قال: قال عبد الله بن مسعود: إذا أراد الله ألا يخرج منهم أحدًا -يعني: من جهنم- غير وجوههم وألوانهم، فيجيء الرجل من المؤمنين، فيشفع فيقول: يا رب . فيقول: من عرف أحدًا فليخرجه. فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحدًا فيقول: أنا فلان. فيقول: ما أعرفك. قال: فعند ذلك يقول: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ ، فعند ذلك يقول: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾. وإذا قال ذلك، أطبقت عليهم فلا يخرج منهم بَشَر.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى مذكرًا لهم بذنوبهم في الدنيا، وما كانوا يستهزئون بعباده

المؤمنين وأوليائه، فقال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ أي: فسخرتم منهم في دعائهم إياي وتضرعهم إليّ، ﴿ حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى ﴾ أي: حملكم بغضهم على أن نَسِيتم معاملتي ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ أي: من صنيعهم وعبادتهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٠] أي: يلمزونهم استهزاء.

ثم أخبر عما جازى به أولياءه وعباده الصالحين، فقال: ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ ﴾ أي: على أذاكم لهم واستهزائكم منهم، ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ أي: جعلتهم هم الفائزين بالسعادة والسلامة والجنة، الناجين من النار.

❁ ❁ ❁

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨ ﴾

[المؤمنون: ١١٢-١١٨].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿لَبِثْتُمْ - بَعْضَ يَوْمٍ - ٱلْعَآدِّينَ - عَبَثًا - فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ - ٱلْكَرِيمِ - لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ - لَا يُفْلِحُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَبِثْتُمْ﴾	مكثتم
﴿بَعْضَ يَوْمٍ﴾	جزءًا من اليوم
﴿ٱلْعَآدِّينَ﴾	الذين يعدون الأيام والليالي السنين (قيل هم الملائكة، وقيل غير ذلك)
﴿عَبَثًا﴾	لعبا - باطلا - عن غير حكمة
﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ﴾	تقدس - تمجد - ترفَّع
﴿ٱلْكَرِيمِ﴾	الحسن - البهي - جميل الشكل والمنظر
﴿لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ﴾	لا حجة - لا بيِّنة
﴿لَا يُفْلِحُ﴾	لا يحظى بالمطلوب ولا ينجو من المرهوب - لن يسلم من النار ولن ينجو منها ولن يدخل جنة ولن يرد عليها

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، سؤال توبيخ لأهل الكفر والضلال الذين أضاعوا دنياهم في الكفر والشرك والشهوات والملذات، قال الله ﷻ لهم يوم القيامة وكم لبثتم في الأرض عدد سنين كم لبثتم في الأرض من السنوات وكم عشتم على الأرض أحياءًا، وقيل كم لبثتم في القبور والأول أولى.

فجهل هؤلاء الجواب، وأنساهم أليم العذاب مدة مكثهم في الحياة الدنيا فقالوا لبثنا يومًا أو جزءًا من اليوم فسأل الذين يُعدون الأيام والليالي ويحسبونها، أما نحن فلا علم لنا، وظننا أننا لبثنا يومًا أو بعض يوم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾ [الروم: ٥٥] أما ﴿ٱلْعَآدِّينَ﴾ فلأهل العلم في تعيينهم أقوال:

أحدها: أنهم الملائكة.

الثاني: أنهم الحُسَّاب الذي يحسبون الأيام والليالي والشهور.

أما قوله تعالى: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًاۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ فحاصل معناه أن الله ﷻ قال لهم ما لبثتم في دنياكم إلا زمنا قليلًا، وقيل ما لبثتم في قبوركم إلا زمنًا قليلًا ، وهذا وذاك بالنسبة إلى ما هم فيه من شدة العذاب وطول البقاء في النار، فالدنيا مهما طالت فهي قصيرة وحياة الشخص فيها أقصروا أقصروا بالنسبة للآخرة أما قوله تعالى: ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فحاصل معناه إن كنتم تعلمون حقيقة ما مكثتموه فيها وقيل إن كنتم تعلمون المصير الذي أنتم إليه صائرون ما كفرتم ولا أشركتم ولا تلذذتم بالمحرمات والله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ وفي

قوله: ﴿ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة على وجه الخبر: ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ ، وكذلك قوله: ﴿ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ ﴾.

ووجه هؤلاء تأويل الكلام إلى أن الله قال لهؤلاء الأشقياء من أهل النار وهم في النار: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾؟ وأنهم أجابوا الله فقالوا: ﴿ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ ، فنسي الأشقياء؛ لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب مدة مكثهم التي كانت في الدنيا، وقَصُرَ عندهم أمد مكثهم الذي كان فيها؛ لما حلّ بهم من نقمة الله، حتى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها إلا يوما أو بعض يوم. ولعلّ بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل، والسنين الكثيرة.

واختلف أهل التأويل في المعني بالعادين، فقال بعضهم: هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم، ويُحْصُون عليهم ساعاتهم.

وقال آخرون: بل هم الحُسّاب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال كما قال الله جلّ ثناؤه: ﴿فَسْـَٔلِ الْعَادِّينَ ﴾ وهم الذين يَعُدّون عدد الشهور والسنين وغير ذلك، وجائز أن يكونوا الملائكة، وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم، ولا حجة بأيّ ذلك من أيّ ثبتت صحتها، فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العادّين دون بعض.

وقوله: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ وتأويل الكلام على قراءتنا: قال الله لهم: ما لبثتم في الأرض إلا قليلًا يسيرًا، لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى منبها لهم على ما أضاعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة الله تعالى وعبادته وحده، ولو صَبَروا في مدة الدنيا القصيرة لفازوا كما فاز أولياؤه المتقون، ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ أي: كم كانت

إقامتكم في الدنيا؟ ﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ أي: الحاسبين ﴿ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي: مدة يسيرة على كل تقدير ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ أي: لما آثرتم الفاني على الباقي، ولما تَصَرَّفتم لأنفسكم هذا التصرف السّيئ، ولا استحققتم من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة، ولو أنكم صبرتم على طاعة الله وعبادته -كما فعل المؤمنون- لفزتم كما فازوا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل: يعنى في القبور. وقيل: هو سؤال لهم عن مدة حياتهم في الدنيا. وهذا السؤال للمشركين في عرصات القيامة أو في النار. ﴿عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾ بفتح النون على أنه جمع مسلم، ومن العرب من يخفضها وينونها. ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ أنساهم شدة العذاب مدة مكثهم في القبور. وقيل: لأن العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كانوا فيه من العذاب في قبورهم.

مسألة

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (أضواء البيان)

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣﴾.

في هذه الآية سؤال معروف: وهو أنهم لما سئلوا يوم القيامة عن قدر مدة لبثهم في الأرض في الدنيا أجابوا بأنهم لبثوا يومًا أو بعض يوم، مع أنه قد دلت آيات أخر على أنهم أجابوا بغير هذا الجواب كقوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣﴾ [طه: ١٠٣] والعشر أكثر من يوم أو بعضه، وكقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾ [الروم: ٥٥] والساعة: أقل من يوم أو بعضه، وقوله: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾ [النازعات: ٤٦] وقوله: ﴿كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [يونس: ٤٥] وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ [الأحقاف: ٣٥]

وقد بينا الجواب عن هذا السؤال في كتابنا: دفع إيهام الاضطراب عن آيات

الكتاب في الكلام على هذه الآية بما حاصله: أن بعضهم يقول لبثنا يوماً أو بعض يوم، ويقول بعض آخر منهم: لبثنا ساعة ويقول بعض الآخر منهم: لبثنا عشراً.

والدليل على هذا الجواب من القرآن أنه تعالى بين أن أقوالهم إدراكاً، وأرجحهم عقلاً، وأمثلهم طريقة هو من يقول: إنهم ما لبثوا إلا يوماً واحداً، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [طـه: ١٠٣-١٠٤] فالآية صريحة في اختلاف أقوالهم، وعلى ذلك فلا إشكال والعلم عند الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ أي الحاسبين، الذين يضبطون مدة لبثنا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم أفظننتم يا أهل الكفر ويا أهل الشرك يا من اتخذتم دينكم لعبًا ولهوًا وغرتكم الحياةُ الدنيا، أفحسبتم يا هؤلاء أنما خلقناكم باطلًا وعبثًا منا لغير حكمةٍ وخلقناكم هملًا بال تكليف، وبلا أمرٍ ولا نهي وحسبتم أنكم لن ترجعوا إلى الله ﷻ فتعالى الله عن ذلكن تعالى الله عن الباطل وعن العبث فربنا ﷻ لا يعبث، فهو الملك الحق وقوله الحق وخلقه خلقهم بالحق لا معبود غيره ولا رب سواه هو رب العرش الكريم العرش حسن المنظر، والعرش البهي.

وبنحو ذلك قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾ يقول تعالى ذكره: أفحسبتم أيها

الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم، لعبا وباطلا وأنكم إلى ربكم بعد مماتكم لا تصيرون أحياء، فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون؟.

وقال في في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون، من أن له شريكا، وعما يضيفون إليه من اتخاذ البنات ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ يقول: لا معبود تنبغي له العبودة إلا الله الملك الحقّ ﴿ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ والربُّ: مرفوع بالردّ على الحقّ، ومعنى الكلام: فتعالى الله الملك الحقّ، ربّ العرش الكريم، لا إله إلا هو.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا ﴾ أي: أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا، ﴿ وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ أي: لا تعودون في الدار الآخرة، كما قال: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [القيامة: ٣٦]، يعني هملا .

وقوله: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ أي: تقدَّس أن يخلق شيئا عبثا، فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾، فذكر العرش؛ لأنه سقف جميع المخلوقات، ووصفه بأنه كريم، أي: حسن المنظر بهي الشكل، كما قال تعالى: ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [لقمان: ١٠].

❁ ❁ ❁

س: الله ﷻ لم يخلق خلقه عبثا، ولن يتركهم هملًا، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٦-١١٧].

وقوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ أي: هملًا بل ثواب ولا عقاب.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ... ﴾ [الأحقاف: ٣].

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم ومن يعبد مع الله إلهًا آخر، ويسأله ويرجوه ولا حجة له ولا بينة له على صحة ذلك، ولا أمر له من أن بذلك قطعًا، فإنما حسابه عند ربه، وسيجازيه على ذلك أسوء العذاب فلن ينجو من النار ولن يحضى بالأمن يوم الوعيد، لن يسلم أهل الكفر والجحود والنكران والشرك والطغيان لن يسلموا من عذاب الله ولن يلفتوا منه، ولن يحظوا بالأمن السلامة فعل يا رسول الله ويا عبد الله رب اغفر، ما مضى من ذنوبي، استرها عليَّ ولا تؤاخذني بها وارحمني بقبول توبتي ورجوعي إليك وارحمني بإنجائي من عذابك وإدخال جنتك وأنت خير من رحم.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له معبودا آخر، لا حجة له بما يقول، ويعمل من ذلك ولا بينة.

وقوله: ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ يقول: فإنما حساب عمله السَّيِّئ عند ربه

وهو مُوَفِّيه جزاءه إذا قدم عليه ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١١٧﴾ يقول: إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١١٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد: ربّ استر عليّ ذنوبي بعفوك عنها، وارحمني بقبول توبتك، وتركك عقابي على ما اجترمت ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١١٨﴾ يقول: وقل: أنت يا ربّ خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته، ولم يعاقبه على ذنبه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى متوعدا من أشرك به غيره، وعَبَدَ معه سواه، ومخبرًا أن من أشرك بالله ﴿ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ﴾ أي: لا دليل له على قوله -فقال: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ ، وهذه جملة معترضة، وجواب الشرط في قوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ أي: الله يحاسبه على ذلك.

ثم أخبر: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ أي: لديه يوم القيامة، لا فلاح لهم ولا نجاة.

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ هذا إرشاد من الله إلى هذا الدعاء، فالغَفْرُ -إذا أطلق- معناه محو الذنب وستره عن الناس، والرحمة معناها: أن يسدده ويوفقه في الأقوال والأفعال.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ أي لا حجة له عليه ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ أي هو يعاقبه ويحاسبه. ﴿إِنَّهُۥ﴾ الهاء ضمير الامر والشأن. ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ وقرأ الحسن وقتادة: (لا يفلح) - بالفتح - من كذب وجحد ما جئت به وكفر نعمتي. ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالاستغفار لتقتدى به الامة. وقيل: أمره بالاستغفار لأمته.

تم بحمد الله.

* * *